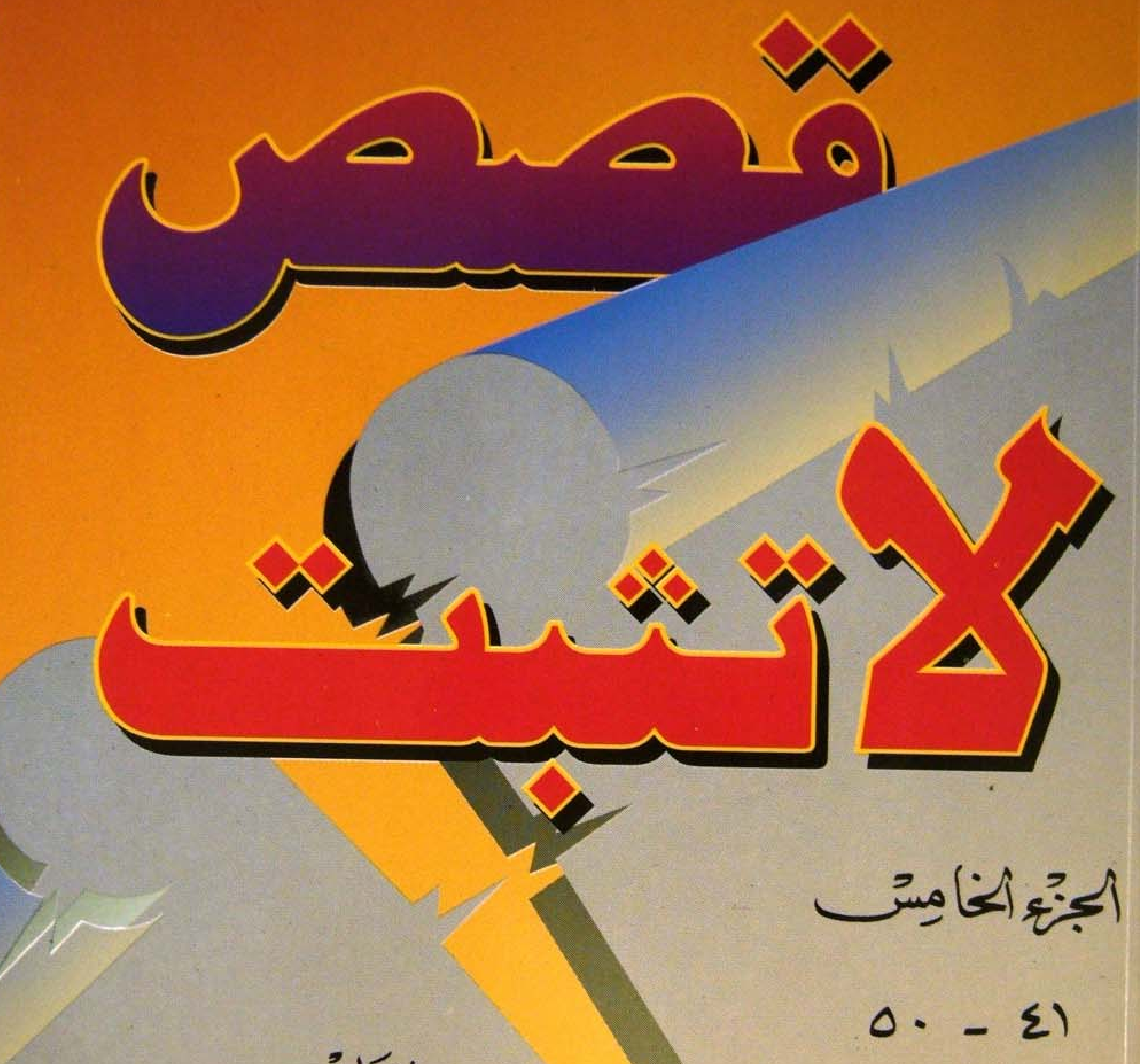
قصص لا تثبت



الجزء الخامس

٤١ - ٥٠

إعداد
سليمان بن صالح الخراشي

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

قصص لا تثبت

بسم الله الرحمن الرحيم

قصص لا تثبت

الجزء الخامس

٤١ - ٥٠

إعداد

سليمان بن صالح الخراشي

دار الصميعي

للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف وفاكس: ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩
الرياض - السويدي - شارع السويدي العام
ص.ب: ٤٩٦٧ - الرمز البريدي ١١٤١٢
المملكة العربية السعودية

مقـــدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[1].

أما بعد.. فقد استمتعتُ ـ كغيري ـ بقراءة الأجزاء الأربعة من سلسلة (**قصص لا تثبت**) من إصدار دار الصميعي بالرياض، فوجدت فيها فكرة رائعة تهدف إلىٰ الكشف عن بطلان كثير من القصص المشهورة في الكتب السابقة التي يتداولها الناس، بالرغم من أن بعض هذه القصص قد تكون سبباً من أسباب شيوع البدع والشركيات بين المسلمين ـ كما سيأتي مثال ذلك في هذا الجزء ـ.

أو قد يكون فيها قَدحٌ وتنقصٌ لمقام أحد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ أو الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٢) كقصة جُبن حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أو بخل ثعلبة =

فجاءت هذه السلسلة على قَدَرٍ لتبين زيف وبطلان أمثال هذه القصص، بعد أن وجدت المبادرة والتشجيع للاهتمام بنشرها من قِبَل الشيخ الفاضل: عبدالله بن حسن الصميعي، صاحب دار الصميعي العامرة بالرياض.

وقد صدر من هذه السلسلة ـ كما سبق ـ أربعة أجزاء متتالية، كان اثنان منها[1] من نصيب الأخ الفاضل يوسف العتيق ـ حفظه الله ـ وآخران[2] من نصيب الشيخ المحقق مشهور بن حسن سلمان ـ وفقه الله ـ.

فأسعدني ـ كثيراً ـ المشاركة بما لديَّ في هذه السلسلة بعد أن تفضّل الأخ يوسف العتيق باقتراح

= ابن حاطب ـ رضي الله عنه ـ وغيرها من القصص المكذوبة على الصحابة.

(١) الأول والرابع.

(٢) الثاني والثالث.

ذلك عليَّ. فكان هذا الجزء الخامس[١] الذي يشتمل على عشر قصص (تحمل رقم ٤١ ـ ٥٠ ضمن أرقام قصص هذه السلسلة)، معظمها من القصص التي يحتج بها أعداء عقيدة السلف من القبوريين والخرافيين ـ كما سيأتي ـ.

وليُعلم ـ بعد هذا ـ أنه ليس لي من جهدٍ يُذكر في هذا الجزء سوى جمع كلام العلماء المحققين الذين ضعّفوا القصص الواردة فيه، ثم التعقيب به على كل قصة بما يبطلها، فأسأل الله أن يجزيهم كل خير.

ختاماً: أتمنى من كل كاتب يشارك في هذه السلسلة أو ما شابهها[٢] أن يحرص على تفنيد القصص التي يتكىء عليها أعداء السنة في مذاهبهم المختلفة لكي يكون النفع أعظم، وأن لا يكرر ما

---

(١) سيتلوه قريباً ـ إن شاء الله ـ الجزء السادس.

(٢) كسلسلة «تحت المجهر» للشيخ عبدالعزيز السدحان، وسلسلة «قصص فيها كلام» للشيخ فوزي بن عبدالله ـ حفظهما الله ـ.

سبق إبطاله من قصصٍ من قِبَل غيره من المصنفين خلال هذه السلسلة وما شابهها.

أسأل الله أن يُعظم أجر من كانت هذه السلسلة فكرته، ومن شارك فيها، ومن قرأها من المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أبو مصعب
ص.ب ٧٤٢١ ـ الرياض ١١٤٦٢

* * *

(٤١)
قصة
الإمام مالك مع أبي جعفر المنصور

هذه القصة مما يحتج به القبوريون على جواز التوسل به ﷺ بعد موته عند قبره!

فقد ذكر القاضي عياض في الشفا عن شيوخه من طريق أبي العباس أحمد بن عمر بن دلهاث، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن فهر، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفوج، حدثنا أبو الحسن عبدالله بن المنتاب، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا ابن حُميد قال: «ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله ـ تعالى ـ أدب قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾[1]، ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ

(١) سورة الحجرات، الآية: ٢.

﴿لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾[1]، وذم قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾[2]، وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً. فاستكان لها أبو جعفر، فقال: يا أبا عبدالله، أأستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله ـ ﷺ ـ؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم ـ عليه السلام ـ إلى الله ـ تعالى ـ يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به، فيشفعك الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝٦٤﴾[3]»[4].

قلت: قال شيخ الإسلام في إبطال هذه القصة:

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٣.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ٤.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٤.
(٤) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٥٩٥)، وشرحه للملا علي القاري (٢/ ٧٠).

(هذه الحكاية منقطعة؛ فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكاً لا سيما في زمن أبي جعفر المنصور، فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة، وتوفي مالك سنة تسع وسبعين ومائة، وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة ثمان وأربعين ومائتين[(١)] ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه[(٢)].

---

(١) انظر كتاب المجروحين لابن حبان (٢/ ٣٠٣)، والكاشف (٣/ ٣٢٦)، وتهذيب التهذيب (٩/ ١٣١)، والميزان (٣/ ٥٣١).

(٢) ولم يذكره أحد في تلاميذ مالك حتى المزي في تهذيب الكمال، انظر ترجمة مالك في تهذيب الكمال (٣/ ١٢٩٦ ـ ١٢٩٧)، وترجمة محمد بن حميد منه (٣/ ١١٩٠ ـ ١١٩١) وراجع ترتيب المدارك للقاضي عياض (١/ ٢٨٢ ـ ٥٤٥) وقد قسم فيه الرواة عن مالك إلى طبقتين: كبرى وصغرى، وعلى حسب البلدان، ولم يذكر فيهم ابن حميد.
وهذا يؤكد ما قاله شيخُ الإسلام.

وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث، كذّبه أبو زرعة[١] وابن وارة[٢].

وقال صالح بن محمد الأسدي [٣]: ما رأيت أحداً أجرأ على الله منه وأحذق بالكذب منه[٤].

---

(١) قال ابن حبان في المجروحين (٢/ ٢٠٤):
«قال أبو زرعة وابن وارة ـ أي للإمام أحمد ـ: صح عندنا أنه يكذب قال ـ يعني صالح بن أحمد ـ: فرأيت أبي بعد ذلك إذا ذكر ابن حميد نفض يده.

(٢) الحافظ الكبير الثبت أبو عبد الله محمد بن مسلم بن عثمان بن وارة الرازي، مات سنة (٢٧٠)، تذكره الحفاظ (٢/ ٥٧٥).
قال الحافظ: ثقة حافظ. تقريب (٢/ ٢٠٧).

(٣) الحافظ العلامة شيخ ما وراء النهر، أبو علي صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب الأسدي مولاهم البغدادي، نزيل بخاري، كان ثبتاً صدوقاً مشهوراً، قال أبو سعد الإدريسي: ما أعلم بعصر صالح بالعراق ولا بخراسان في الحفظ مثله. . .»، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٤١ ـ ٥٤٣).

(٤) انظر تاريخ بغداد (٢/ ٢٦٢) وقال: محمد بن حميد =

وقال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير[١].

وقال النسائي: ليس بثقة[٢].

وقال ابن حبان: ينفرد عن الثقات بالمقلوبات[٣].

وآخر من روى الموطأ عن مالك هو أبو

= أحاديثه تزيد وما رأيت أجرأ على الله منه.

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢٦٠).

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٢٦٣).

(٣) كتاب المجروحين (٢/ ٣٠٣).

وقال البخاري في التاريخ (ق١/ج١/ ٦٩): فيه نظر. وقال إسحاق بن منصور: أشهد على محمد بن حميد وعبيد بن إسحاق العطار أنهما كذابان. تاريخ بغداد (٢/ ٢٦٣).

وجرت له قصتان مع أبي حاتم الرازي ومحمد بن عيسى الدامغاني اتضح منهما كذبه العريض. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣). وراجع هذه الأقوال في تهذيب الكمال (٣/ ١١٩٠ ـ ١١٩١) وتهذيب التهذيب (٩/ ١٢٧ ـ ١٣١)، والميزان (٣/ ٥٣٠).

مصعب[١] وتوفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين. وآخر من روى عن مالك على الإطلاق هو أبو حذيفة أحمد بن اسماعيل السهمي[٢] توفي سنة تسع وخمسين ومائتين.

وفي الإسناد أيضاً من لا يعرف حاله[٣].

وهذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه، ومحمد بن حميد ضعيف عند أهل الحديث إذا أسند، فكيف إذا

---

(١) الإمام الفقيه أحمد بن أبي بكر الزهري المدني، قاضي المدينة وعالمها، سمع مالكاً وطائفة. راجع الكاشف (١/ ٥٣)، والتقريب (١/ ١٢)، والتذكرة (ص٤٨٢)

(٢) الأمر كما ذكر المؤلف. انظر الكاشف (١/ ١٢)، والتقريب (١/ ١١).

(٣) لعله يشير بهذا إلى معظم رجال الإسناد من ابن دلهاث إلى يعقوب بن إسحاق قال الشيخ ربيع المدخلي: لم أقف لهم على خبر بعد بحث خصوصاً يعقوب بن إسحاق، فلعل واحداً من هؤلاء المجهولين اخترع هذه الحكاية إن سلم من اختراعها ابن حميد.

أرسل(١) حكاية لا تعرف إلا من جهته!(٢)

هذا إن ثبتت عنه، وأصحاب مالك متفقون على

---

(١) يريد بهذا شيخ الإسلام أن ابن حميد على مافيه من بلاء لم يصرح في رواية هذه الحكاية بصيغة من صيغ التحديث؛ كسمعت مالكاً، أو حدثني، أو أخبرني، أو عن مالك، أو قال مالك، وإنما قال: ناظر مالك فهي بهذا التعبير مرسلة، فإن سلم محمد بن حميد من تبعتها، فهناك احتمال آخر أن يكون رجل كذاب اخترع هذه الحكاية، ونسبها إلى مالك، أو يكون هناك عدد من الوسائط بين محمد بن حميد وبين مالك فيهم كذاب أو كذابون تداولوا هذه الحكاية حتى وصلت إلى محمد بن حميد.

(٢) يقصد شيخ الإسلام أن محمد بن حميد مع عدم إدراكه لمالك، فقد انفرد من بين أصحاب مالك على كثرتهم، وكثرة الأئمة الحفاظ فيهم، وعلى كثرة من لازمه منهم، ومع معرفتهم وحفظهم وإتقانهم لحديثه.

ومثل محمد بن محمد ـ وأصدق منه ـ إذا انفرد عن أصحاب مالك بحديث، أو مثل هذه الحكاية، لا تقبل منه، ولو أسندها فكيف إذا أرسلها.

أنه بمثل هذا النقل لا يثبت عن مالك قول له في مسألة في الفقه، بل إذا روى عنه الشاميون كالوليد بن مسلم ومروان بن محمد الطاطري ضعفوا رواية هؤلاء، وإنما يعتمدون على رواية المدنيين والمصريين، فكيف بحكاية تناقض مذهبه المعروف عنه من وجوه، رواها واحد من الخراسانيين لم يدركه وهو ضعيف عند أهل الحديث!

مع أن قوله: «وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة». إنما يدل على توسل آدم وذريته به يوم القيامة، وهذا هو التوسل بشفاعته يوم القيامة، وهذا حق.

كما جاءت به الأحاديث الصحيحة[1] حين يأتي

---

(١) بل عدها بعضهم من الأحاديث المتواترة. انظر المتناثر من الحديث المتواتر (ص١٤٩). ومنها على سبيل المثال؛ حديث أنس في صحيح مسلم(١ ـ كتاب الأيمان) حديث (٣٢٢، ٣٢٦). ومثله حديث جابر حديث (٣٢٠).
وحديث أبي هريرة في البخاري، ٦٠ ـ كتاب الأنبياء، =

الناس يوم القيامة آدمَ ليشفع لهم، فيردُّهم آدم إلى نوح، ثم يردهم نوح إلى إبراهيم، وإبراهيم إلى موسى، وموسى إلى عيسى، ويردهم عيسى إلى محمد ﷺ، فإنه كما قال: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر»**[1].

= حديث (٣٣٤٠). وفي مسلم، (١ ـ كتاب الإيمان)، حديث (٣٢٧). وأحمد (٢/ ٤٣٥). وحديث حذيفة وأبي هريرة في مسلم، ١ ـ كتاب الإيمان، حديث (٣٢٩).

(١) ورد في بعض أحاديث الشفاعة التي ذكرناها سابقاً، «أنا سيد الناس يوم القيامة» أما بهذا اللفظ؛ فرواه الترمذي (٥/ ٣٠٨)، ٤٨ ـ كتاب التفسير، حديث (٣١٤٨). وفي (٥/ ٥٨٧)، ٥٠ ـ كتاب المناقب، ١ ـ باب فضل النبي ﷺ، حديث (٣٦١٥). وابن ماجه (٢/ ١٤٤٠)، ٣٧ ـ كتاب الزهد، ٣٧٥ ـ باب ذكر الشفاعة، حديث (٤٣٠٨). وأحمد (٣/ ٢). كلهم من طريق علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعاً. وعلي بن زيد ضعيف لكن له شواهد:

أولاً: من حديث أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ رواه =

= أحمد (١/ ٤ ـ ٥) بتحقيق أحمد شاكر (١/ ١٥)، رقم (١٥)، وصححه، وفي تصحيحه نظر؛ فإن في إسناده أبا هنيدة قال الذهبي في الميزان (٤/ ٥٨٣): لا يعرف. ونقل أحمد شاكر عن ابن سعد أنه قال: كان معروفاً، قليل الحديث.

ثانياً: من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ رواه أحمد (٣/ ١٤٤). والدارمي (١/ ٣١). كلاهما من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن أنس مرفوعاً بلفظ: «إني لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر...» الحديث. وهو إسناد صحيح، فالحديث صحيح من هذا الوجه، يؤيده الطريقان السابقان.

ثالثاً: من حديث عبدالله بن سلام. رواه ابن حبان في صحيحه، كما في الموارد (ص٥٢٣)، حديث (٢١٢٧)، من طريق عمرو بن عثمان الكلابي، حدثنا موسى بن أعين عن معمر بن راشد عن محمد بن عبدالله بن أبي يعقوب عن بشر بن شغاف عن عبدالله بن سلام قال: قال رسول

ولكنها مناقضة لمذهب مالك المعروف من وجوه: أحدها: قوله: «أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله وأدعو!» فقال: «ولمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم»؛ فإن المعروف عن مالك وغيره من الأئمة وسائر السلف من الصحابة والتابعين أن الداعي إذا سلم على النبي ﷺ ثم أراد أن يدعو لنفسه فإنه يستقبل القبلة ويدعو في مسجده، ولا يستقبل القبر ويدعو لنفسه، بل إنما يستقبل القبر عند السلام على النبي ﷺ والدعاء له. هذا قول أكثر العلماء كمالك في إحدى

= الله ﷺ: «أنا سيد ولدآدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه».

وفي إسناده عمرو بن عثمان الرقي ضعيف، قاله الحافظ في التقريب (٢/ ٧٤). وقال الذهبي في الكاشف (٢/ ٣٣٦): «لين تركه النسائي». وعلى كل فهو صالح في الشواهد.

الروايتين والشافعي وأحمد وغيرهم.

وعند أصحاب أبي حنيفة، لا يستقبل القبر وقت السلام[1] عليه أيضاً.

ثم منهم من قال: يجعل الحجرة عن يساره ـ وقد رواه ابن وهب عن مالك ـ ويسلم عليه.

ومنهم من قال: بل يستدبر الحجرة ويسلم عليه

---

(١) قال الشيخ عبدالرحمن محمد بن سليمان الحنفي المعروف بداماد أفندي (المتوفى سنة ١٠٧٨) في كتاب «مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر» (١/ ٣١٣). في أدب زيارة قبر رسول الله ﷺ بعد أن ذكر أن الزائر يصلي في الروضة: «... ثم ينهض فيتوجه إلى القبر الشريف، فيقف عند رأسه، مستقبل القبلة، ويدنو منه قدر ثلاثة أذرع أو أربعة، ولا يدنو منه أكثر من ذلك، ولا يضع يده على جدار التربة الشريفة».
وهذه إحدى الحالتين المرويتين عن أصحاب أبي حنيفة، وهي أن يجعل القبر عن يساره، ويستقبل القبلة، ويسلم على النبي ﷺ.

وهذا هو المشهور عندهم ومع هذا فكره مالك أن يطيل القيام عند القبر.

لذلك قال القاضي عياض في المبسوط عن مالك قال: «لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو، ولكن يسلم ويمضي»[١].

قال: وقال نافع: كان ابن عمر يسلم على القبر، رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول: السلام على النبي ﷺ، السلام على أبي بكر، السلام على أبي، ثم ينصرف[٢].

ورؤي واضعاً يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه[٣].

قال: وعن ابن أبي قسيط والقعنبي: كان أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجد جسّوا برمانة

---

(١) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٨٥، ٨٦).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

المنبر التي تلي القبر بميامنهم، ثم استقبلوا القبلة يدعون[١].

قال: وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي أنه كان ـ يعني ابن عمر ـ يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر[٢].

---

(١) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٨٦).
وهذه الحكايات تحتاج إلى أسانيد، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، ثم على تسليم أنهم فعلوا ذلك فذلك بالنسبة لأشياء عرفوا حق اليقين أن رسول الله ﷺ باشرها بنفسه بجسده الشريف صلوات الله وسلامه عليه. فأين عمل الناس الآن، وهم يتبركون بكل شيء من المسجد وغيره من الأشياء التي حدثت بعد رسول الله ﷺ بقرون؟!
وقد كره مالك وغيره طلب موضع شجرة بيعة الرضوان. (شرح الزرقاني للموطأ) (١/ ٣٥١). وقد نهى عمر ـ رضي الله عنه ـ عن تتبع آثار النبي ﷺ؛ لأن في ذلك تشبها باليهود والنصارى.

(٢) الشفا (٢/ ٨٦). وهو في الموطأ (١/ ١٦٦)، ٩ ـ كتاب قصر الصلاة في السفر، برقم (٦٨)، مالك عن عبدالله بن دينار، «رأيت ابن عمر يقف على قبر النبي ﷺ، فيصلي =

= على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ» وفي المصنف لعبد الرزاق (٣/ ٥٧٦)، باب السلام على قبر النبي ﷺ حديث (٦٧٢٤): «عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن نافع، قال: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله! السلام عليك يا أبا بكر! السلام عليك يا أبتاه!».

وأخبرناه عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر. قال معمر: فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر، فقال: «لا نعلم أحداً من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك».

أقول: يستفاد من قول عبيد الله بن عمر، الإمام المدني، الثقة الثبت، أن الصحابة الكرام ـ وفيهم الخلفاء الراشدون ـ ما كانوا يأتون قبر النبي ﷺ إلا ما كان من عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ إذا قدم من سفر، مع حبهم الشديد لرسول الله وإكرامهم إياه وطاعتهم وانقيادهم له. فهل آن للأمة الإسلامية أن تثوب إلى رشدها، فتتبع هؤلاء العظماء والفقهاء النبلاء. وإننا على ثقة أنهم ما وقفوا جميعاً هذا الموقف إلا على أساس متين، وصراط مستقيم من العلم النبوي الصحيح، وعلى إدراك واع لمقاصد الشريعة وأهدافها، إنه ما كان ذلك منهم ـ مع

= حبهم الشديد الصادق لرسول الله ﷺ - إلا تنفيذاً لتوجيهاته الكريمة! مثل قوله ﷺ: «لاتتخذوا قبري عيداً». ومثل قوله ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد». ومثل قوله ﷺ - بأبي وأمي هو -: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

تنفيذاً لهذه التوجيهات العظيمة الهادفة إلى حماية التوحيد، وصيانة العقيدة الإسلامية من شوائب الغلو والضلال الذي وقع فيه أهل الكتاب، كان ذلك الموقف الواعي الرشيد من الصحابة الكرام، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون والفقهاء المبرزون مثل زيد بن ثابت وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وغيرهم من علماء الصحابة وعظمائها وسادتها، فماهم إلا جند الله ثم جند محمد ﷺ، جند له في حياته يفدونه ورسالته بمهجهم وأموالهم وأرواحهم، وجند له أوفياء بعد وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، فلله درهم ما أفقههم وأنبلهم وأوفاهم!

فهل للأمة الإسلامية أن تتأسى بهؤلاء العظماء الأوفياء في تنفيذ هذه التوجيهات وغيرها مما جاء به خاتم الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ولله در إمام دار الهجرة - رحمه الله - إذ قال حين خالف بعض الناس بعض

وعند ابن القاسم والقعنبي: ويدعو لأبي بكر وعمر.

قال مالك في رواية ابن وهب: يقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

وقال في المبسوط: ويسلم على أبي بكر وعمر[١].

قال أبو الوليد الباجي: وعندي أن يدعو للنبي ﷺ بلفظ الصلاة، ولأبي بكر وعمر[٢] بلفظ السلام؛ لما في حديث ابن عمر من الخلاف.

وهذا الدعاء يفسر الدعاء المذكور في رواية ابن وهب، قال مالك في رواية ابن وهب: إذا سلم على

= هذه التوجيهات وبدأوا يترددون على القبر: لا أعرف هذا عمن مضى، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

(١) الشفا (٢/ ٨٦).

(٢) المصدر السابق.

النبي ﷺ ودعا، يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدنو ويسلم ولا يمس القبر.

فهذا هو السلام عليه والدعاء له بالصلاة عليه كما تقدم تفسيره، وكذلك كل دعاء ذكره أصحابه كما ذكر ابن حبيب في الواضحة وغيره.

قال: وقال مالك في المبسوط: وليس يلزم من دخل المسجد وخرج من أهل المدينة الوقوف بالقبر، وإنما ذلك للغرباء[١]. وقال فيه أيضاً: ولا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر، أن يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه، ويدعو له ولأبي بكر وعمر[٢]. قيل له: فإن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه، يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر، وربما وقفوا في الجمعة أو الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر، فيسلمون ويدعون

---

(١) الشفا (٢/ ٨٨).

(٢) المصدر السابق.

ساعة. فقال مالك: لم يبلغني هذا عن أهل الفقه ببلدنا، وتركه واسع،ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده[١].

قال ابن القاسم: ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوا أتوا القبر فسلموا[٢]. قال: ولذلك رأي.

قال أبو الوليد الباجي: ففرق بين أهل المدينة والغرباء؛ لأن الغرباء قصدوا لذلك، وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم[٣].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الشفا (٢/ ٨٨ ـ ٨٩) منقول كله بالحرف.
ولله در الإمام مالك ما أفقهه !وما أشد تمسكه بالسنة! وما أحرصه على اقتفاء آثار الصحابة الكرام وتابعيهم بإحسان!

قال: وقال رسول الله ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**»، «**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١).

قال: وقال النبي ﷺ: «**لا تجعلوا قبري عيداً**»(٢).

---

(١) رواه مالك في الموطأ (١/ ١٧٢)٩ ـ كتاب قصر الصلاة في السفر، ٢٤ ـ باب جامع الصلاة، حديث (٨٥) عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار مرسلاً. وعبد الرزاق في المصنف (١/ ٤٠٦)، باب الصلاة على القبور برقم (١٥٨٧) عن معمر عن زيد بن أسلم. وابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٤١). وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥) من طريق ابن عجلان عن زيد بن أسلم؛ فهو معضل عند هؤلاء، لكنه قد جاء موصولاً عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ فقد أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٦). وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٣١٧). والحميدي (٢/ ٤٤٥)، حديث (١٠٢٤). كلهم من طريق سفيان بن عيينة.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٦٧). وأبو داود (٣/ ٥٣٤) حديث (٢٠٤٢).

قال أحمد: ثنا عبدالله بن نافع عن ابن أبي ذئب عن سعيد =

قال: ومن كتاب أحمد بن شعبة فيمن وقف بالقبر: لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلاً.

وفي (العتبية) - يعني عن مالك - يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي ﷺ[١]، وأحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي ﷺ حيث العمود المخلق، وأما في الفريضة فالتقدم إلى الصفوف. قال: والتنفل فيه للغرباء أحب إلي من التنفل في البيوت[٢]. . .

فهذا قول مالك وأصحابه، وما نقلوه عن الصحابة يبين أنهم لم يكونوا يقصدون القبر إلا للسلام على النبي ﷺ والدعاء له. وقد كره مالك

= المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً.
وقال أبو داود: ثنا أحمد بن صالح قرأت على عبدالله بن نافع به. وهو إسناد حسن.

(١) أي يقدم صلاة تحية المسجد على الزيارة.

(٢) هذا تلخيص جيد لما نقله سابقاً من كلام مالك وأصحابه.

إطالة القيام لذلك، وكره أن يفعله أهل المدينة كلما دخلوا المسجد وخرجوا منه، وإنما يفعل ذلك الغرباء ومن قدم من سفر أو خرج له، فإنه تحية للنبي ﷺ. فأما إذا قصد الرجل الدعاء لنفسه فإنما يدعو في مسجده مستقبل القبلة كما ذكروا ذلك عن أصحاب النبي، ولم ينقل عن أحد من الصحابة أنه فعل ذلك عند القبر، بل ولا أطال الوقوف عند القبر للدعاء للنبي ﷺ، فكيف بدعائه لنفسه؟

ومما يوهن هذه الحكاية أنه قال فيها: «**ولِمَ تصرفُ وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة**». إنما يدل على أنه يوم القيامة يتوسل الناس بشفاعته، وهذا حق كما تواترت به الأحاديث، لكن إذا كان الناس يتوسلون بدعائه وشفاعته يوم القيامة، كما كان أصحابه يتوسلون بدعائه وشفاعته في حياته، فإنما ذاك طلب لدعائه وشفاعته، فنظير هذا ـ لو كانت الحكاية صحيحة ـ أن يطلب منه الدعاء والشفاعة في الدنيا عند قبره.

ومعلوم أن هذا لم يأمر به النبي ﷺ ولا سنَّه لأمته، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من الأئمة المسلمين لا مالك ولا غيره من الأئمة، فكيف يجوز أن ينسب إلى مالك مثل هذا الكلام الذي لا يقوله إلا جاهل لا يعرف الأدلة الشرعية ولا الأحكام المعلومة بأدلتها الشرعية، مع علو قدر مالك وعظم فضيلته وإمامته، وتمام رغبته في اتباع السنة وذم البدع وأهلها؟ وهل يأمر بهذا أو يشرعه إلا مبتدع؟ فلو لم يكن عن مالك قول يناقض هذا لعلم أنه لا يقول مثل هذا.

ثم قال في الحكاية: «استقبله واستشفع به فيشفعك الله» والاستشفاع به معناه في اللغة؛ أن يطلب منه الشفاعة كما يستشفع الناس به يوم القيامة، وكما كان أصحابه يستشفعون به.

ومنه الحديث الذي في السنن(١) أن أعرابياً قال: يا رسول الله! جهدت الأنفس وجاع العيال، وهلك المال، فادْعُ الله لنا فإنا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله. فسبَّح رسول الله ﷺ حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، وقال: «**ويحك أتدري ما تقول؟ شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه**».

وذكر تمام الحديث فأنكر قوله: «**نستشفع بالله عليك**». ومعلوم أنه لا ينكر أن يُسأل المخلوق بالله أو يقسم عليه بالله، وإنما أن يكون الله شافعاً إلى

(١) أبو داود (٥/ ٩٤-٩٥)، ٣٤ ـ كتاب السنة، ١٩ ـ باب في الجهمية، حديث (٤٧٢٦). من طريق محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده مرفوعاً.
وهو ضعيف لأن في إسناده محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن في هذا الإسناد. وفيه جبير بن محمد بن جبير، قال الحافظ فيه: مقبول من السادسة تقريب (١/ ١٢٦).

المخلوق، ولهذا لم ينكر قوله: «نستشفع بك على الله»؛ فإنه هو الشافع المشفع.

وهم لو كانت الحكاية صحيحة إنما يجيئون إليه لأجل طلب شفاعته ﷺ ولهذا قال في تمام الحكاية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ الآية[١] وهؤلاء إذا شرع لهم أن يطلبوا منه الشفاعة والاستغفار بعد موته فإذا أجابهم فإنه يستغفر لهم، واستغفاره لهم دعاء منه وشفاعة أن يغفر الله لهم.

وإذا كان الاستشفاع منه طلب شفاعته، فإنما يقال في ذلك: «استشفعْ به فيشفّعه الله فيك» لا يقال (فيشفعك الله) فيه وهذا معروف الكلام، ولغة النبي ﷺ وأصحابه وسائر العلماء، يقال شفع فلان في فلان فشفع فيه. فالمشفع الذي يشفعه المشفوع إليه هو الشفيع المستشفع به، لا السائل الطالب من غيره أن يشفع له، فإن هذا ليس هو الذي يشفع، فمحمد

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

ﷺ هو الشفيع المشفع، ليس المشفع الذي يستشفع به. ولهذا يقول في دعائه: يا رب شفعني، فيشفعه الله فيطلب من الله سبحانه أن يشفعه لا أن يشفع طالبي شفاعته، فكيف يقول: واستشفع به فيشفعك الله؟

وأيضاً فإن طلب شفاعته ودعائه واستغفاره بعد موته وعند قبره ليس مشروعاً عند أحد من الأئمة المسلمين، ولا ذكر هذا أحد من الأئمة الأربعة وأصحابهم القدماء، وإنما ذكر هذا بعض المتأخرين)[١].

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٢٢ ـ ١٣١) (١٤٧ ـ ١٤٩) تحقيق الشيخ ربيع بن هادي المدخلي ـ حفظه الله ـ والحواشي السابقة منه.
وانظر: الصارم المنكي لابن عبد الهادي (ص٢٥٥) والاستغاثة في الرد على البكري (١/ ٤٠٠) تحقيق الشيخ عبدالله بن دجين السهيلي.

(٤٢)
قصة
خازن عمر ـ رضي الله عنه ـ

هذه القصة ـ أيضاً ـ اتخذها القبوريون حجةً لهم على جواز دعاء النبي ﷺ بعد موته!

قال ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٣١):

حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار قال: وكان خازن عمر على الطعام، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأُتي الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقيون، وقل له: عليك الكيس! عليك الكيس! فأتى عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه.

وأخرجها الحافظ البيهقي كما في دلائل النبوة (٧/ ٤٧): أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قال: أخبرنا أبو عمرو بن مطر أخبرنا أبو بكر بن علي الذهلي أخبرنا يحيى أخبرنا أبو معاوية

عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك قال: «**أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: «إيت عمر فأقره مني السلام، وأخبرهم أنهم مُسْقون.. وقل له: عليك الكَيس الكَيس. فأتى الرجل عمرَ، فأخبره، فبكى عمر ثم قال: يارب ماآلو إلا ما عجزت عنه**».

قلت: هذه القصة معلولة بعلتين:

الأولى: جهالة الرجل الذي جاء إلى قبر النبي ﷺ، فكيف تُترك الآيات والأحاديث الصحيحة التي تأمر بطلب السقيا من الله مباشرةً واستغفاره دون وسيط، ثم يُتعلق برواية هذا المجهول!؟

فإن قيل: بأن الحافظ ابن حجر قال في الفتح (٢/ ٥٧٥): (وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة).

قيل: سيف بن عمر المتفرد بهذه الزيادة ضعيف باتفاق الأئمة.

ضعفه يحي بن معين. وقال: فَلْس خيرٌ منه!

وقال أبو حاتم: متروك الحديث، يشبه حديثه حديث الواقدي.

وقال أبو داود: ليس بشيء.

وقال النسائي والدارقطني: ضعيف.

وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات قال: وقالوا إنه كان يضع الحديث.

وقال الحاكم: اتهم بالزندقة، وهو في الرواية ساقط.

قال الذهبي: هو كالواقدي.[١]

---

(١) انظر: تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩٥) وميزان الاعتدال (٢/ ٢٥٥).

قال الشيخ الألباني ـ حفظه الله ـ عن هذه القصة: (لا حجة فيها، لأن مدارها على رجل لم يسمَّ، فهو مجهول أيضاً، وتسميته بلالاً في رواية سيف لا يساوي شيئاً، لأن سيفاً هذا هو ابن عمر التميمي، متفق على ضعفه عند المحدثين، بل قال ابن حبان فيه: «يروي الموضوعات عن الأثبات، وقالوا: إنه كان يضع الحديث» فمن كان هذا شأنه لا تُقبل روايته ولا كرامة، لا سيما عند المخالفة)[١].

العلة الثانية:

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ في نقض هذه القصة: (هذه الحكاية على تسليم صحتها ليس فيها دليل شرعي يجب المصير إليه عند أهل العلم والإيمان، فقد ذكر العلماء الأدلة الشرعية وحصروها وليس أحد منهم

---

(١) التوسل (ص١٣٢).

استدل على الأحكام برؤيا آحاد الأمة ولا سيما إذا تجردت عما يعضدها من الكتاب والسنة والاجماع أو القياس وهذا الرجل الذي رآها أبهمه من روى هذه الواقعة ولم يعينه إلا سيف بن عمر على ما زعمه هذا الرجل.

وقد تقدم الكلام في سيف؛ وأنه ضعيف لا يحتج به)[١].

وقال الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله تعالى ـ: (وهذا الحديث على تقدير ثبوت صحته لا يدل على ما يتوهمه هذا الملحد[٢] غاية ما فيه أنه سأل النبي ﷺ أن يستسقي لأمته فأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس فكان المستسقي

---

(١) مصباح الظلام (ص٣٠٣).

(٢) أي المردود عليه، وهو (محمد عطا الكسم) فقيه حنفي، كان مفتياً للجمهورية السورية، توفي عام ١٣٥٧هـ له كتاب (الأقوال المرضية في الرد على الوهابية)! انظر: (معجم المؤلفين) لعمر كحالة (٣/ ٤٨٨).

بالناس عمر لا رسول الله ﷺ، فتبين من هذا أنه لا تطلب السقيا إلا من الحي بدعائه لا من الميت لأمره ﷺ بذلك وخروج عمر بالصحابة يستسقون فسقوا والله أعلم)[١].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ حفظه الله ـ في تعليقه على فتح الباري:

(هذا الأثر على فرض صحته كما قال الشارح ـ ليس بحجة على جواز الاستسقاء بالنبي ﷺ بعد وفاته، لأن السائل مجهول، ولأن عمل الصحابة رضي الله عنهم على خلافة، وهم أعلم الناس بالشرع، ولم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله السقيا ولا غيرها؛ بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعباس، ولم يُنكر ذلك عليه أحد من الصحابة، فعُلم أن ذلك هو الحق، وأن ما فعله هذا الرجل منكر ووسيلة إلى الشرك، بل قد جعله بعض

---

(١) الصواعق المرسلة الشهابية (ص١٧٧).

أهل العلم من أنواع الشرك.

وأما تسمية السائل في رواية سيف المذكور «بلال بن الحارث» ففي صحة ذلك نظر، ولم يذكر الشارح سند سيف في ذلك، وعلى تقدير صحته عنه لا حجة فيه، لأن عمل كبار الصحابة يخالفه، وهم أعلم بالرسول ﷺ وشريعته من غيرهم، والله أعلم)[١].

وقال الشيخ الألباني عن القصة: (إنها مخالفة لما ثبت في الشرع من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء لا ستنزال الغيث من السماء، كما ورد ذلك في أحاديث كثيرة، وأخذ به جماهير الأئمة، بل هي مخالفة لما أفادته الآية من الدعاء والاستغفار، وهي قوله تعالى في سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾[٢] وهذا ما

---

(١) فتح الباري (٢/ ٥٧٥).
(٢) سورة نوح، الآية: ١٠، ١١.

فعله عمر بن الخطاب حين استسقى وتوسل بدعاء العباس كما سبق بيانه، وهكذا كانت عادة السلف الصالح كلما أصابهم القحط أن يصلوا ويدعوا، ولم ينقل عن أحد منهم مطلقاً أنه التجأ إلى قبر النبي ﷺ، وطلب منه الدعاء للسقيا، ولو كان ذلك مشروعاً لفعلوه ولو مرة واحدة، فإذ لم يفعلوه دل ذلك على عدم مشروعية ما جاء في القصة)[١].

* * *

(١) التوسل (ص١٣١ ـ ١٣٢).

(٤٣)
قصة
مكذوبة على عائشة ـ رضي الله عنها ـ

هذه القصة ـ أيضاً ـ مما يحتج به القبوريون على جواز دعاء النبي ﷺ والتوسل به بعد موته.

فقد أخرج الدارمي في سننه من حديث أبي النعمان: ثنا سعيد بن زيد: ثنا عمروبن مالك النُكري حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبدالله قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى[١] إلى السماء، حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال ففعلوا فَمُطروا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق»[٢].

قلت: هذه القصة ضعيفة، لثلاثة أمور:

---

(١) الكوى جمع كوّة: الثقبة في الحائط.
(٢) سنن الدارمي (١/٥٦) باب: ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته.

أولهما: أن سعيد بن زيد هو أخو حماد بن زيد، فيه ضعف.

قال فيه الحافظ في «التقريب»: صدوق له أوهام. وقال الذهبي في «الميزان»:

«قال يحيى بن سعيد: ضعيف، وقال السعدي: ليس بحجة يضعفون حديثه، وقال النسائي وغيره: ليس بالقوي، وقال أحمد: ليس به بأس، كان يحيى بن سعيد لا يستمرئه»[1].

وثانيهما: أنه موقوف على عائشة وليس بمرفوع إلى النبي ﷺ، ولو صح لم تكن فيه حجة، لأنه يحتمل أن يكون من قبيل الآراء الاجتهادية لبعض الصحابة، مما يخطئون فيه ويصيبون، ولسنا ملزمين بالعمل بها.

وثالثهما: أن أبا النعمان هذا هو محمد أن

---

(١) انظر: «التقريب» (٢٣١٢) و«ميزان الاعتدال» (٢/١٣٨).

الفضل، يُعرف بعارم، وهو وإن كان ثقة فقد اختلط في آخر عمره، وقد أورده الحافظ برهان الدين الحلبي في «الاغتباط بمن رمي بالاختلاط»[(١)] تبعاً لابن الصلاح حيث أورده في «المختلطين» من كتابه «المقدمة» وقال:

«والحكم فيهم أنه يُقبل حديثُ من أَخَذَ عنهم قبل الاختلاط، ولا يُقْبل حديث من أخذ عنهم بعد الاختلاط، أو أشكل أمره، فلم يدر هل أخذ عنه قبل الاختلاط أو بعده»[(٢)].

قلت: وهذا الأثر لا يُدرى هل سمعه الدارمي منه قبل الاختلاط أو بعده، فهو إذن غير مقبول، فلا يحتج به، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الرد على البكري»[(٣)]: «وما روي عن عائشة رضي الله

(١) ص ٢٣.
(٢) ص٣٩١.
(٣) ص ٦٨ ـ ٧٤.

عنها من فتح الكوة من قبره إلى السماء، لينزل المطر فليس بصحيح، ولا يثبت إسناده، ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة، بل كان باقياً كما كان على عهد النبي ﷺ، بعضه مسقوف وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها، لم يظهر الفيء بعد، ولم تزل الحُجرة كذلك حتى زاد الوليد بن عبدالملك في المسجد في إمارته لما زاد الحُجَر في مسجد الرسول ﷺ. ومن حينئذ دخلت الحجرة النبوية في المسجد، ثم إنه بني حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدار عال، وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك لأجل كنس أو تنظيف، وأما وجود الكوة في حياة عائشة فكذب بين ولو صَحَّ ذلك لكان حجة ودليلاً على أن القوم لم يكونوا يقسمون على الله بمخلوق ولا يتوسلون في دعائهم بميت، ولا يسألون الله به،

وإنما فتحوا على القبر لتنزل الرحمة عليه، ولم يكن هناك دعاء يقسمون به عليه، فأين هذا من هذا؟!
والمخلوق إنما ينفع المخلوق بدعائه أوبعمله، فإن الله تعالى يحب أن نتوسل إليه بالإيمان والعمل والصلاة والسلام على نبيه ﷺ ومحبته وطاعته وموالاته، فهذه هي الأمور التي يحب الله أن نتوسل بها إليه، وإن أريد أن نتوسل إليه بما نحب ذاته، وإن لم يكن هناك ما يحب الله أن نتوسل به من الإيمان والعمل الصالح، فهذا باطل عقلاً وشرعاً، أماعقلاً فلأنه ليس في كون الشخص المعين محبوباً له ما يوجب كون حاجتي تُقضى بالتوسل بذاته إذا لم يكن مني ولا منه سبب تُقضى به حاجتي، فإن كان منه دعاء لي أو كان مني إيمان به وطاعة له فلا ريب أن هذه وسيلة، وأما نفس ذاته المحبوبة فأي وسيلة لي منها إذا لم يحصل لي السبب الذي أُمرت به فيها!؟

وأما الشرع: فيقال: العبادات كلها مبناها على

الاتباع لا على الابتداع، فليس لأحد أن يشرع من الدين ما لم يأذن به الله، فليس لأحد أن يصلي إلى قبره ويقول هو أحق بالصلاة إليه من الكعبة، وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها. مع أن طائفة من غلاة العباد يصلون إلى قبور شيوخهم، بل يستدبرون القبلة، ويصلـون إلـى قبـر الشيـخ ويقـولـون: هـذه قبلـة الخاصة، والكعبة قبلة العامة! وطائفة أخرى يرون الصلاة عند قبور شيوخهم أفضل من الصلاة في المساجد حتى المسجد الحرام والنبوي والأقصى.

وكثير من الناس يرى أن الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين أفضل منه في المساجد، وهذا كله مما قد علم جميع أهل العلم بديانة الإسلام أنه مناف لشريعة الإسلام. ومن لم يعتصم في هذا الباب وغيره بالكتاب والسنة وإلا ضَلَّ وأَضَلَّ، ووقع في مهواة من التلف. فعلى العبد أن يسلم للشريعة المحمدية الكاملة البيضاء الواضحة، ويسلم أنها

جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإذ رأى من العبادات والتقشفات وغيرها التي يظنها حسنة ونافعة ما ليس بمشروع عَلِمَ أن ضررها راجح على نفعها، ومفسدتها راجحة على مصلحتها. إذ الشارع حكيم لا يهمل المصالح».

ثم قال: «والدعاء من أجلِّ العبادات، فينبغي للإنسان أن يلزم الأدعية المشروعة فإنها معصومة كما يتحرى في سائر عبادته الصور المشروعة، فإن هذا هو الصراط المستقيم. والله تعالى يوفقنا وسائر إخواننا المؤمنين»)[١].

---

(١) التوسل، للألباني (ص١٣٩ ـ ١٤٣).
وانظر: الاستغاثة في الرد على البكري (١/ ٤٠٢) تحقيق الشيخ عبدالله بن دجين السهيلي.

(٤٤)
قصة
أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ
والقبر

هذه القصة ـ أيضاً ـ مما يحتج به القبوريون على جواز التمسح بالقبور!

قال الإمام أحمد في المسند: حدثنا عبدالملك بن عمير، قال: حدثنا كثير بن زيد، عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه، فإذا هو أيوب. فقال: نعم. إني لم آتِ الحجَر، إنما جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجَر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لاتبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله».

هذه القصة ضعيفة

(قال عنها الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد»[١] بعد عزوها لأحمد والطبراني في الكبير والأوسط:

(١) ٥/٢٤٥.

- فيه - أي في سنده - كثير بن زيد، وثقة جماعة، وضعفه النسائي وغيره.

قلت: قال الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»[١]: أخبرنا أبو بكر بن أبي خيثمة فيما كتب إليّ قال: سئل يحيى بن معين عن كثير بن زيد فقال: ليس بذلك القوي.

وقال: سئل أبي عن كثير بن زيد فقال: صالح ليس بالقوي. يكتب حديثه. وقال: سئل أبو زرعة عن كثير بن زيد فقال: صدوق فيه لين.

وقال النسائي في كتاب «الضعفاء والمتروكين»[٢]: كثير بن زيد ضعيف.

وفي سند هذه الرواية أيضاً داود بن أبي صالح وهو مجهول قال الحافظ الذهبي في «الميزان»[٣]:

---

(١) ٧/ ١٥٠.
(٢) ص٣٠٣ط الهندية.
(٣) ٢/ ٩.

داود بن أبي صالح حجازي لا يعرف، له عن أبي أيوب الأنصاري، روى عنه الوليد بن كثير فقط.

وأشار الحافظ ابن حجر العسقلاني في «تهذيب التهذيب»[١] إلى أن الحديث الذي أشار إليه الذهبي هو حديث أبي أيوب المذكور إلا أنه قال: أخشى أن يكون قوله ـ أي الذهبي ـ روى عنه الوليد بن كثير وهماً وإنما هو كثير بن زيد.

وممن روى هذه القصة مؤلف «أخبار المدينة» أبو الحسين يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبيدالله الحسيني. ومن طريقه رواه التقي السبكي في كتابه «شفاء السقام في زيارة خير الأنام»[٢].

قال أبو الحسين يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله الحسيني في «أخبار المدينة»: حدثني عمر بن خالد، ثنا أبو نباته عن كثير بن زيد عن المطلب

---

(١) ٣/ ١٨٨ ـ ١٨٩.
(٢) ص١٥٢ ط١ الهندية ١٣٧١هـ.

بن عبدالله بن حنطب قال: أقبل مروان بن الحكم فإذا رجل ملتزم القبر، فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فقال: نعم إني لم آتِ الحجر، ولم آتِ اللَّبِن، إنما جئت رسول الله ﷺ لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله. قال المطلب: وذلك الرجل أبو أيوب الأنصاري.

وهذه الرواية فيها كثير بن زيد الذي تقدم الكلام عليه في الرواية السابقة.

وعمر بن خالد الذي كان سبب وقوف السبكي في تصحيح هذا الحديث. فقد قال في «شفاء السقام»: لم أعرفه.

ثم قال: فإن صح هذا الإسناد لم يكره مس جدار القبر. هكذا قال السبكي، وفيه دليل على أنه غير جازم بثبوت هذه القصة.

وقد تعقب الهيتميُ اعتراضَ السبكي بها على حكاية النووي الإجماع على منع مس القبر النبوي

وتقبيله. تعقبه بقوله في «حاشية الإيضاح»[1]: الحديث المذكور ـ يريد حديث أبي أيوب هذا ـ ضعيف. وعلى تسليم صحته فيجوز أن يكون السلف أجمعوا على ذلك بعد انقراض الصحابة رضي الله عنهم على أنه مذهب صحابي وليس إجماعاً سكوتياً كما هو ظاهر.

قال: ومعنى قول السبكي ليس مما قام الإجماع عليه: أي: ابتداء.

فما قاله المصنف ـ يعني النووي صاحب الإيضاح ـ صحيح لا مطعن فيه.

هذا نص الهيتمي في «حاشية الإيضاح».

أما زيادة بعضهم في قصة أبي أيوب الأنصاري قوله: وقال للائمه ما أجهلكم بفعل العاشقين. ثم تمثَّل بقول الشاعر:

---

(١) ص٢١٩ط. دار الفكر. مصورة عن ط الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩هـ.

أمـرُّ علـى الـديـار ديـارِ سلمـى
أُقَبِّــلُ ذَا الجِــدارَ وذا الجِــدارا
ومـا حــبُّ الـديـارِ شغفـن قلبـي
ولكن حبُّ من سكنَ الديارا

فهذه الزيادة غير موجودة في أيٍ من روايات هذه القصــة. والبيتــان معــروفــان لمجنــون ليلــى لا سلمى)[1].

(١) نقلاً عن: شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور، تأليف: دار الافتاء بالمملكة العربية السعودية (ص١٦ - ١٩) بتصرف يسير.
وانظر: «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» للشيخ أحمد النجمي (ص٤٩٥ ـ ٤٩٨).

(٤٥)
قصة
مكذوبة على عمر ـ رضي الله عنه ـ

هذه القصة ـ أيضاً ـ مما يحتج به القبوريون على جواز شد الرحل لزيارة قبر النبي ﷺ!

فقد ذكر الواقدي في فتوح الشام[1]:

أن عمر لما صالح أهل بيت المقدس، وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرح عمر بإسلامه، قال عمر: هل لك أن تسير معي إلى المدينة، وتزور قبر النبي ﷺ وتتمتع بزيارته؟

فقال: نعم يا أمير المؤمنين، أنا أفعل ذلك. ولما قدم عمر المدينة أول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله ﷺ.

قلت: هذه القصة ضعيفة جداً، ذكرها الواقدي في (فتوح الشام) بلا إسناد، واحتج بها السبكي في

---

(١) (١/٣١٨) ط دار ابن خلدون بالاسكندرية، راجعها! وقدم لها طه عبدالرؤف سعد. وهي طبعة خالية من الفهارس، ولو كان فهرست الموضوعات!

رده على شيخ الإسلام.

قال العلامة ابن عبد الهادي في نقضها:

«من المعلوم أن هذا من الأكاذيب والموضوعات على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفتوح الشام فيه كذب كثير، وهذا لا يخفى على آحاد طلبة العلم، ولكن شأنَ هذا المعترض[1] الاحتجاجُ دائماً بما يظنه موافقاً لهواه، ولو كان من المنخنقة والموقوذة والمتردية! وليس هذا شأن العلماء، بل المستدل بحديث أو أثر عليه أن يبين صحته ودلالته على مطلوبه»[2].

قلت: وفي كتاب «مختصر الفوائد المكية» للسيد علوي السقاف ذكر في خاتمتها التنبيه على بعض الكتب وأحاديث وحكايات لا ينبغي الاشتغال بها نقلاً عن «المشرع الروي» قال: «ويُمنع في المسجد

(١) أي السبكي.
(٢) الصارم المنكي (ص٢٤٠).

ماذكره المؤرخون من قصص الأنبياء، كفتوح الشام للواقدي، فإن غالبه موضوع أو مأخوذ ممن لا يوثق به»[١].

* * *

(١) إصلاح المساجد للقاسمي (ص١٥٣ ـ ١٥٤ الهامش).
وانظر: كتب حذر منها العلماء (٢/ ٢٨٤ ـ ٢٩٢) لبيان حال هذا الكتاب ـ أي فتوح الشام ـ وهل تصح نسبته للواقدي؟

(٤٦)
قصة
سوادَ بن قارب مع عمر ـ رضي الله عنه ـ

هذا القصة تُذكر فيمن أخبر بنبوته ﷺ في الجاهلية، وجاء فيها ما تعلق به القبوريون من جواز طلب الشفاعة منه ﷺ ـ كما سيأتي ـ.

فقد أخرجها الطبراني من طريق محمد بن كعب القُرظي قال: «بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالسٌ في مسجد المدينة، ومعه ناسٌ إذ مَرَّ رجلٌ في ناحية المسجد، فقال له رجل من القوم: يا أمير المؤمنين! أتعرف هذا؟

قال: لا، فمن هو؟ قال: هذا رجل من أهل اليمن له فيهم شرف وموضع يقال له «سواد بن قارب»، وهو الذي أتاه رئيه التابع من الجن بظهور رسول الله ﷺ، قال عمر: عليَّ به.

فدعي الرجل فقال له عمر: أنت سواد بن قارب؟

قال: نعم ياأمير المؤمنين!

قال: أنت الذي أتاك رئيك بظهور رسول الله ﷺ؟

قال: نعم.

قال: فأنت على ما كنت عليه من كهانتك؟ فغضب الرجل غضباً شديداً، وقال: يا أمير المؤمنين! ما استقبلني أحد بهذا منذ أسلمت!

فقال عمر رضي الله عنه: يا سبحان الله! ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك!!

أخبرني بإتيانك رئيك بظهور رسول الله ﷺ، قال: نعم يا أمير المؤمنين! بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رئيي فضربني برجله، وقال: قم يا سواد بن قارب! فافهم واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من بني لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ الجني يقول:

عجبت للجن وتجساسها
وشدها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى
ما خَيِّر الجن كأنجاسها

فارحل إلى الصفوة من هاشم
واســـم بعينيـــك إلـــى راسهـــا

قال: فلم أرفع بقوله رأساً، فقلتُ: دعني أنام فإني أمسيت ناعساً.

فلما أن كان الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب! فافهم واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب، يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ الجني يقول:

عجبــت للجـــن وأخبـــارهـــا
وشـــدهـــا العيـــس بـــأكـــوارهـــا
تهـوي إلـى مكـة تبغـي الهـدى
مـــا مـــؤمـــن الجـــن ككفـــارهـــا
فارحل إلى الصفوة من هاشم
بيـــن روابيهـــا وأحجـــارهـــا

قال: فلم أرفع بقوله رأساً، فقلت: دعني، فإني أمسيت ناعساً.

فلما كان الليلة الثالثة، أتاني فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب! فافهم! واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ الجني يقول:

عجبت للجن وتطلابها
وشدها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى
ما صادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم
ليس قَدَامَاها كأذنابها

قال: فوقع في قلبي حب الإسلام، ورغبت فيه، فلما أصبحت شددت على راحلتي رحلها، وانطلقت متوجهاً إلى مكة، فلما كنت ببعض الطريق أخبرت أن النبي ﷺ قد هاجر إلى المدينة، فقدمت المدينة فسألت عن النبي ﷺ، فقيل: هو في المسجد، فانتهيت إلى المسجد فعقلت ناقتي، ودخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ والناس حوله، فقلت:

اسمع مقالتي يا رسول الله! فقال:

«أُدْنُهْ».

فلم يزل يدنيني حتى صرت بين يديه فقال: «هات فأخبرني بإتيانك رئيك».

فقلت:

أتاني نجيي بعد هدء ورقدة
ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة
أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت من ذيل الإزار ووسَّطتْ
بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فأشهد أن الله لا رب غيره
وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة
إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى
وإن كان فيما جاء شيب الذوائب

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة
يكون بمغنٍ عن سواد بن قارب[١]

قال: ففرح رسول الله وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً حتى رئي ذلك في وجوههم!

قال: فوثب إليه عمر رضي الله عنه فالتزمه، وقال: لقد كنت أُحب أن أسمع هذا الحديث منك فأخبرني عن رئيك: هل يأتيك اليوم؟ فقال: أما منذ قرأت كتاب الله فلا، ونعم العوض كتاب الله من الجن».

قلت: قال الشيخ مساعد بن سليمان الحميد في تخريجه الموسَّع لهذه القصة:

(ضعيفة بهذا السياق، لكن أصلها ثابت.

(١) هذا هو البيت الذي يستشهد به القبوريون على جواز طلب الشفاعة منه ﷺ لا من الله.

أخرجها أبو سعيد النقاش الحافظ في «فنون العجائب» (٦١)، قال: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن يوسف الضريرُ به.

وأخرجها الحسن بن سفيان في «مسنده» كما في «الإصابة» (٣: ٢٢٠)، و«الخصائص الكبرى» (١: ٢٥٥) ـ ومن طريقه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (١: ١٣٧: ٦٢)، وفي «معرفة الصحابة» (١: ق٣٠٣: ب) ـ، قال: حدثنا بشر بن حُجْر السامي[1] به نحوه.

وأخرجها ابن قانع في «معجم الصحابة» (ق٥٧: أ)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧: ١٠٩: ٦٤٧٥)، وفي «الأحاديث الطوال» (٣١)، والقاضي المعافى في «الجليس الصالح» (٢: ٦٧ ـ ٧٠)،

---

(١) وقع عند أبي نعيم في «كتابيه»: «الشامي» ـ بالشين المعجمة ـ وهو تصحيف؛ والصواب ما أثبتناه كما في «الإكمال» للأمير ابن ماكولا (٤: ٥٥٧ ـ ٥٥٨).

وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١ : ١٣٧ : ٦٢)، وفي «معرفة الصحابة» (١ : ق٣٠٣: ب)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢ : ٢٥٣) من طرق أخرى عن بشر بن حجر به نحوه.

قلت: إسنادها ضعيف جداً، وفيه علل ثلاث:

الأولى: علي بن منصور؛ لم نقف على حاله، ولم أر من ترجم له سوى أبي بكر بن نقطة في «تكملة الإكمال» (١ : ١٦٧)، والحافظ في «تبصير المنتبه» (١ : ٣٦) ولم يذكرا فيه قدحا ولا تعديلاً.

وليس هو من رجال «تهذيب الكمال»، ولا من رجال «الميزان» و«اللسان» فهو على ذا إما ثقة أو مستور ـ على ما قرره الحافظ في خاتمة «اللسان» (٧ : ٥٣٥).

ثم ألفيتُ الذهبي ذكره في «تاريخ الإسلام» (٢ : ١٣١ ـ ط القدسي)، وقال: «فيه جهالة».

لكن هذه العلة قد زالت إذ هلال الرقي قد تابعه؛

أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣: ٦٠٨ ـ ٦١٠)، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن سليمان الفقيه ـ وهو النجاد الحنبلي ـ إملاء، قال: حدثنا هلال بن العلاء الرقي، قال: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي به.

العلة الثانية: عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي؛ قال الذهبي في «الديوان» (٢٧٧٠): «تركوه».

وقال الحافظ في «التقريب» (٤٤٩٣): متروك، وكذبه ابن معين».

العلة الثالثة: انقطاع الإسناد؛ فمحمد بن كعب لم يدرك هذه الواقعة وهي: تحديث سواد بن قارب عمرَ رضي الله عنه بهذا الحديث.

فإن محمد بن كعب قد ولد سنة أربعين على الصحيح كما في «التقريب» (٦٢٥٧).

يعني أنه ولد عقب وفاة عمر رضي الله عنه بست عشرة سنة تقريباً، فهذا إذاً إرسال ظاهرٌ.

وبهذه العلة الأخيرة أعل الحديث كل من: الذهبي في «تلخيص المستدرك» (٣: ٦٠٩)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٢: ٣٣٥).

واقتصر الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨: ٢٥) على إعلاله بأن إسناده ضعيف!

وصنيعه هذا يدل على أن الحديث يتقوى بالشواهد، وليس كذلك لشدة ضعفه.

وللقصة طرق أخرى؛

منها: طريق أبي جعفر الباقر، قال: دخل سواد بن قارب السدوسي على عمر بن الخطاب... ثم ذكر نحوه؛ أخرجه أبو بكر الخرائطي في «هواتف الجنان» (٣) ـ فيما رويناه عالياً من طريق البرهان التنوخي، عن إبراهيم بن محمد الخِلاطي، عن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليَسَر، عن أبي طاهر الخشوعي، عن علي بن المسلم السلمي، عن أحمد بن عبد الواحد ابن أبي الحديد، عن جده، عن أبي

بكر الخرائطي، أنه قال: حدثنا أبو موسى عمران بن موسى المؤدب[١]، قال: حدثنا محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: حدثنا سعيد بن عبيد الله الوصافي، عن أبيه، عنه به.

وأخرجه ابن أبي خيثمة وأبو بكر الروياني في «مسنده» ـ كما في «الإصابة» (٣: ٢١٩) و«الخصائص الكبرى» (١: ٢٥٦) ـ من طريق أبي جعفر الباقر به.

قلت: عبيد الله الوصافي ـ والد سعيد ـ ضعفه أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان ـ كما في «الجرح والتعديل» (٢: ٢: ٢٣٦).

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى: «ضعيف

---

(١) في «المطبوع»: «المؤذن»، والصواب ما أثبتناه كما في ترجمة «محمد بن عمران بن أبي ليلى» من «تهذيب الكمال» للمزي (٣: ١٢٥٣)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٢: ٣٣٥).

الحديث».

رواه ابن أبي حاتم في الموضع السابق.

وفي رواية الدارمي (٥٥٤): «ليس بشيء».

وجزم النسائي في «الضعفاء» (٣٥٣) بأنه «متروك الحديث».

وكذا عمرو بن علي الحافظ الفلاس.

رواه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢: ٢: ٣٣٦) عنه.

وقال النسائي مرة ـ كما في «تهذيب التهذيب» (٧: ٥٥) ـ: «ليس بثقة، ولا يكتب حديثه».

وقال العقيلي في «الضعفاء» (٣: ١٢٨): «في حديثه مناكير؛ لا يتابع على كثير من حديثه».

وقال ابن حبان في «تاريخ الضعفاء» (٢: ٦٣): «منكر الحديث جداً؛ يروي عن الثقات ـ عطاء وغيره ـ ما لا يشبه حديث الأثبات، حتى إذا سمعها

المستمع سبق إلى قلبه أنه كالمتعمد لها فاستحق الترك».

وقال ابن عدي في «الكامل» (٤ : ١٦٣١): «هو ضعيف جداً، يتبين ضعفه على حديثه».

وضعفه آخرون، فانظر:

«ميزان الاعتدال» للذهبي (٣: ١٧) ـ «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر (٧: ٥٥ ـ ٥٦).

وأما سعيد ـ ابنه ـ فذكره ابن حبان في «الطبقة الرابعة» من «الثقات» (٨ : ٢٦٤)؛ وقطع أبو حاتم الرازي قبله بضعفه[١].

ثم إن أبا جعفر الباقر لم يدرك دخول سواد بن قارب على عمر؛ فإنه ولد سنة ست وخمسين ـ كما

---

(١) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢: ١ : ٣٨) و«ميزان الاعتدال» للذهبي (٢ : ١٥٠) و«لسان الميزان» للحافظ (٣ : ٣٧).

في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤: ٤٠١) ـ.

ولهذا ففي الإسناد إرسال أيضاً.

وذكر الحافظ في «الفتح» (٧: ١٧٩) حديث الباب وحديث أبي جعفر الباقر هذا، ثم قال: «وهما طريقان مرسلان يعضد أحدهما الآخر».

أقول: طريق أبي جعفر الباقر هذا فيه نظر كثير لقبوله في المتابعات والشواهد، لأنه مسلسل بالعلل مع كون أحد رواته قد ضعف بضعف شديد!

وأما حديث الباب: فلا خلاف نعلمه بين أهل العلم بالحديث أنه غير مقبول في المتابعات والشواهد.

فإن راويه: عثمان بن عبدالرحمن الوقاصي متروك ـ كما تقدم ـ بل قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢: ١٣١): «متفق على تركه»!

ومن كان كذلك فلا وزن لروايته بتة؛ والله المستعان.

من طرق القصة: طريق سعيد بن جبير، قال: أخبرني سواد بن قارب... ثم ساق نحوه؛

أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢: ٢: ٢٠٢)، وأبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» (ل: ٢٧٨)، وابن عدي في «الكامل» (٢: ٦٢٨ ـ ٦٢٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧: ١١١: ٦٤٧٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢: ٢٥٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥: ق١١٢: ب) من طرق عن سليمان بن عبدالرحمن الدمشقي، قال: حدثنا الحكم بن يعلي بن عطاء المحاربي، قال: حدثنا عباد بن عبد الصمد عنه به.

وقال أبو القاسم البغوي في إثره: «ولا أعلم بهذا الإسناد غير هذا الحديث».

قلت: هذا إسناد ضعيف جداً، مسلسل بالعلل.

سليمان بن عبدالرحمن ـ وهو ابن بنت شرحبيل ـ «صدوق يخطىء» كما في «التقريب» (٢٥٨٨).

وشيخه الحكم بن يعلى: منكر الحديث.

قال البخاري في «التاريخ الكبير» (١: ٢: ٣٤٢ ـ ٣٤٣): «عنده عجائبُ، منكر الحديث، ذاهب، تركت ـ أنا ـ حديثه».

ونحوه في «التاريخ الصغير» (٢: ٢٥٢ ـ ٢٥٣، ٢٧٠).

وقال أبو حاتم: «هو متروك الحديث، منكر الحديث».

وقال أبو زرعة: «هو ضعيف الحديث، منكر الحديث».

الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١: ٢: ١٣٠ ـ ١٣١).

وله ترجمة في «ميزان الاعتدال» للذهبي (١: ٥٨٣) ـ «لسان الميزان» للحافظ ابن حجر (٢: ٣٤١).

وشيخه عباد بن عبدالصمد: منكر الحديث أيضاً:

قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٣: ٢: ٤١): «فيه نظر»، وقال مرة: «منكر الحديث».

قال أبو حاتم ـ كما في «الجرح والتعديل» (٣: ١: ٨٢) ـ: «ضعيف الحديث جداً، منكر الحديث، لا أعرف له حديثاً صحيحاً».

وقال العقيلي في «الضعفاء» (ق١٣٨: ب) نسخة الظاهرية ـ: «أحاديثه مناكير، لا يعرف أكثرها إلا به» ثم قال: «وله عن أنس نسخةٌ عامتها [أو فيها] مناكير كثيرة».

وقال ابن حبان في «تاريخ الضعفاء» (٢: ١٧٠): «منكر الحديث جداً؛ يروي عن أنس ماليس من حديثه، وما أراه سمع منه شيئاً؛ فلا يجوز الاحتجاج به فيما وافق الثقات، فكيف إذا انفرد بأوابد؟!

وقال ابن عدي في «الكامل» (٤ : ١٦٤٨): «وله عن أنس غير حديث منكر، وعامة ما يروية في فضائل علي؛ وهو ضعيف منكر الحديث، ومع ذلك غالٍ في التشيع».

وقال أبو العرب في «طبقات علماء أفريقية» (ص٢٦): «وقد ذكرناه في كتابنا الذي ألفناه في ثقات المحدثين وضعافهم وبينا أمره؛ وهو يروي مناكير لا يرويها غيره عن أنس، ولكنه مشهور لكثرة من أخذ عنه».

والحديث ذكره الحافظ في «الفتح» (٧: ١٨٩) وأعله بعباد فقط!

ومن طرق القصة: طريق أنس بن مالك، قال: دخل رجلٌ من دوس يقال له: سواد بن قارب على النبي ﷺ ... فذكر القصة بطولها؛ أخرجه ابن شاهين في «الصحابة» ـ كما في «الإصابة» (٣: ٢١٩) و«الخصائص الكبرى» (١ : ٢٥٥) ـ من طريق

الفضل بن عيسى القرشي، عن العلاء بن زيدل عنه به.

قال الحافظ في الفتح (٧: ١٧٩): «ضعيف».

قلت: بل إسناده تالف! فإن العلاء بن زيدل ذا: هالك؛ نص على أنه متروك غير واحد.

وقال علي بن المديني ـ كما في «تهذيب التهذيب» (٨:١٨٣): «كان يضع الحديث».

وقال ابن حبان في «الضعفاء» (٢: ١٨٠): «يروي عن أنس بن مالك نسخة موضوعة؛ لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل التعجب».

وقال الحاكم في «المدخل» (١٤٨): «شيخ يروي عن أنس بن مالك أحاديث موضوعة»[1].

وفي «تقريب الحافظ» (٥٢٣٩): «متروك، ورماهُ

---

(١) انظر: الميزان (٣: ٩٩ ـ ١٠٠) وتهذيب التهذيب (٨/ ١٨٢ ـ ١٨٣).

أبو الوليد بالكذب»!!

ومن طرق القصة: طريق عبد الله بن عبد الرحمن، قال: دخل سواد بن قارب على عمر... فذكره بنحوه.

أخرجه الحسن بن سفيان في «مسنده» كما في «الإصابة» (٣: ٢٢٠)، و«الخصائص الكبرى» (١:٢٥٥) من طريق الحسن بن عمارة عنه به.

كذا في «الإصابة»؛ وفي «الخصائص»: «الحسين بن عمارة»، ولم يتبين لي أيهما المحفوظ.

وفي التقريب» (١٢٦٤): «الحسن بن عمارة... متروك».

وفي «الجرح والتعديل» (١ : ٢:٦١): «الحسين بن عمارة... سألت أبا زرعة عنه، فقال: ما أدري»!

وهما متقاربان من حيث الطبقةُ.

ومن طرق القصة: طريق عمر بن حفص، قال: لما ورد سواد بن قارب على عمر... فذكره نحوه.

رواه محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عنه به ـ كما في «البداية والنهاية» لابن كثير (٢: ٣٣٦) ـ.

قلت: محمد بن السائب «متهم بالكذب ورمي بالرفض» كما في «التقريب» (٥٩٠١).

وينظر فيمن فوقه.

ومن طرق القصة: طريق البراء بن عازب، قال: بينما عمر بن الخطاب يخطب الناسَ... ثم ذكر نحوه.

أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢: ٢٤٨ ـ ٢٥١)، قال: أخبرنا أبو القاسم الحسن بن عبدالله بن محمد بن حبيب المفسر ـ من أصل سماعه ـ قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار الأصبهاني ـ قراءة عليه ـ قال: حدثنا أبو جعفر

أحمد بن موسى الحَمَّار الكوفي بالكوفة، قال؛ حدثنا زياد بن يزيد بن باروية أبو بكر القصري، قال: حدثنا محمد بن تراس الكوفي، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق عنه به.

وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢: ١٣٠): «هذا حديث منكر بالمرة، ومحمد بن تراس وزياد: مجهولان، لا تُقبل روايتهما، وأخاف أن يكون موضوعاً على أبي بكر بن عياش، ولكن أصل الحديث مشهور».

قلت: لما كان أبو بكر القصري وابن تراس ـ مع جهالة كل واحد منهما ـ من طبقة متأخرة، وكان الكذب قد فشا في تلك الأزمان، فلا يبعد والحال هذه ـ أن يكون الإسناد مختلقاً، ولذا قال الذهبي ما تقدم.

وأخرجه أيضاً ابن عساكر ـ كما في «البداية والنهاية» لابن كثير (٢: ٣٣٧) من هذا الوجه، لكن وقع فيه «محمد بن البراء» بدل: «محمد بن تراس».

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧: ١٧٩) بعضاً من الطرق المتقدمة، ثم قال: «وهذه الطرق يقوى بعضها ببعض».

قلت: الذي يقوى بالطرق: الضعف القريب المحتمل.

أما الأسانيد الهالكة، والتالفة بمرة: فلا قيمة لها إلا للمعرفة.

والطرق المتقدمة كلها جمعاء ـ في ميزان النقد ـ غير مقبولة في متابعات أو شواهد.

فإن عامتها ضعيف جداً، ولا سيما وبعضها مسلسل بالعلل!

وقد استدل بعض المبتدعة ـ كما سبق ـ بهذا الحديث على جواز طلب الشفاعة من النبي ﷺ، أخذاً من قول سواد بن قارب:

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة
يكون بمغنٍ عن سواد بن قارب

وهي مغالطة ظاهرة، ومجادلة باطلة؛ وغفلة عن قول الله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[١].

وقد عرف كل عالم مخلص ـ من خلال سرد هذه الروايات ـ: أنها روايات لا تقوم بها حجة، ولا ينبني عليها دين وعقيدة.

نعم أصل الحديث ثابت ـ كما أشار إليه الذهبي آنفاً ـ لكن ليس فيه شيء من هذه الأبيات المتعلق بها.

فإن أصله في «صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر بن الخطاب (٧: ١٧٧: ٣٨٦٦)، قال: حدثنا يحيى بن سليمان، قال: حدثني ابن وهب، قال حدثني عمر، أن سالماً

---

(١) سورة النجم، الآية: ٢٦.

حدثه، عن عبدالله بن عمر قال: «ما سمعت عمر لشيء قط يقول إني لأظنه كذا: إلا كان كما يظن؛ بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل، فقال عمر: لقد أخطأ ظني، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم؛ عليَّ الرجلَ، فدعي له، فقال له ذلك، فقال: ما رأيت كاليوم اسْتُقْبل به رجل مسلم، قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني؟ قال: كنت كاهنهم في الجاهلية، قال: فما أعجب ما جاءتك به جنيتك؟: قال: بينما أنا يوماً في السوق جاءتني، أعرف فيها الفزع، فقالت: ألم تر الجن وإبلاسها، ويأسها من بعد إنكاسها، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها؛ قال عمر: صدق! بينما أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه، يقول: يا جَليح * أمر نجيح * رجل فصيح * يقول: لا إله إلا أنت؛ فوثب القوم؛ قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح * أمر نجيح * رجل

فصيح * يقول: لا إله إلا الله؛ فقمت فما نشبنا أن قيل: هذا نبي».

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢: ٣٣٢): «وهذا الرجل هو: سواد بن قارب الأزدي ـ ويقال: السدوسي ـ من أهل السراة، من جبال البلقاء؛ له صحبة ووفادة».

(٤٧)
قصة
وصف علي ـ رضي الله عنه ـ لسفانة بنت حاتم الطائي

هذه القصة مشهورة بين الناس، لأنها قد ذُكرت مختصرة في بعض الكتب الدراسية عندنا.

قال البيهقي في «دلائل النبوة»[١]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو بكر: محمد بن عبدالله بن يوسف العُماني، حدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفي، حدثنا ضرار بن صُرَد، قال: حدثنا عاصم بن حميد، عن أبي حمزة وهما الثمالي، عن عبد الرحمن بن جندب، عن كميل بن زياد النخعي، قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا سبحان الله! ما أزهد كثيراً من الناس في خير، عجباً لرجل يجيئه أخوه المسلم في الحاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق فإنها تدل على سُبُلِ النجاح.

---

(١) (٥/ ٣٤١).

فقام إليه رجل فقال: فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين أسمعته من رسول الله ﷺ؟

قال: نعم، وما هو خيرٌ منه: لما أُتي بسبايا طيء وقفتْ جارية حمراء لعساء ذلفاء عيطاء، شماء الأنف، معتدلة القامة والهامة، درماء العين، خدلة الساقين، لفاء الفخذين، خميصة الخصرين، ضامرة الكشحين، مصقولة المتنين، قال: فلما رأيتها أعجبت بها وقلت: لأطلِبن إلي رسول الله ﷺ يجعلها في فيئي، فلما تكلمتْ أُنْسيْتُ جمالها لما رأيت من فصاحتها.

فقالت: يا محمد! إن رأيت أن تُخَلي عنّا ولا تُشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويُشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولا يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيء.

فقال النبي ﷺ: «**يا جارية! هذه صفة المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحَّمنا عليه، خلوا عنها فإنَّ أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق**».

فقام أبو بردة بن دينار، فقال: يا رسول الله! الله عز وجل يحب مكارم الأخلاق؟.

فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحدٌ إلا بحسن الخلق**»[١].

قلت: هذه القصة ضعيفة، بل تكاد تكون موضوعة، فإن في سندها:

١ ـ ضرار بن صُرَد أبو نعيم الطحان، قال يحي ابن معين: «كذابان بالكوفة: هذا وأبو نعيم النخعي»

---

(١) وأخرجها الخرائطي في مكارم الأخلاق، كما في «اتحاف السادة..» لابن حجر (٧/ ٩٤)، وفي سندها من لا يُعرف.

وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال الدارقطني: ضعيف[١].

قال السيوطي بعد إخراجه هذه القصة في «الجامع الكبير»[٢]: فيه ضرار بن صرد متروك.

٢ ـ أبو حمزة الثمالي: قال فيه أحمد وابن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: لين الحديث.

وقال النسائي: ليس بثقة[٣]

وقد ذكر الحافظ ابن كثير هذه القصة في «البداية والنهاية»[٤] ثم قال عقبها: (هذا حديث حسن المتن. غريب الإسناد جداً، عزيز المخرج).

قلت: لا يكفي حسن متنه للحكم بصحته ـ كما

---

(١) انظر: الميزان (٢/ ٣٢٧).
(٢) كما في كنز العمال (٣/ ٦٦٤).
(٣) انظر: الميزان (١/ ٣٦٣).
(٤) (٥/ ٦١).

هو معلوم ـ

كما أن في متنه ما هو مستهجن، ومستغرب صدوره من صحابي جليل كعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في وصفه الدقيق! لهذه الجارية.

ولهذه القصة طريق أخرى رواها ابن النجار[١] من طريق سليمان بن الربيع بن هاشم: ثنا عبدالمجيد بن صالح أبو صالح البرجمي عن زكريا بن عبد الله بن يزيد عن أبيه عن كميل بن زياد.

قلت: في سندها سليمان بن الربيع. تركه الدارقطني وقال مرةً: ضعيف[٢]

كما أن في سنديْ القصة: كميل بن زياد. قال عنه ابن حبان: كان من المفرطين في علي، ممن يروي عنه المعضلات، منكر الحديث جداً، تُتقى

---

(١) كما في الكنز (٣/ ٦٦٤).

(٢) انظر: الميزان (٢/ ٢٠٧).

روايته ولا يُحتج به[١].

قال الأستاذ علي رضا بن عبدالله ـ حفظه الله ـ: (أقل أحوال هذا الحديث الضعف الشديد، مع أن الحكم بوضعه غير بعيد، لأن علامات الكذب عليه واضحة)[٢].

ومما يزيد في وهن هذه القصة أنه جاء ما يناقضها، فقد قال الإمام أحمد في مسنده[٣]: ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة قال سمعت سماك بن حرب قال سمعت عباد بن حبيش يحدث عن عدي بن حاتم قال: جاءت خيل رسول الله ﷺ وأنا بعقرب[٤]، فأخذوا عمتي وناساً. قال: فلما أتوا بهم رسول الله ﷺ ـ قال فصفوا له قالت: يا رسول

---

(١) المجروحين (٢/ ٢٢١) والميزان (٣/ ٤١٥).
(٢) لا تكذب عليه متعمداً (ص١٢١).
(٣) المسند (٤/ ٣٧٨).
(٤) هكذا في المسند، ولعلها عقرباء، كورة من كور دمشق.

الله نأى الوافد وانقطع الولد وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة فمُنَّ عليَّ مَنَّ الله عليك.

قال: «من وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم».

قال: «**الذي فر من الله ورسوله**».

قالت: فمنَّ عليّ.

قالت: فلما رجع ورجل إلى جنبه نرى أنه علي قال: **سليه حملانا**. قال فسألته فأمر لها.

قال: فأتتني فقالت: قد فعلتَ فعلةً ما كان أبوك يفعلها. قالت: ائته راغباً أوراهباً فقد أتاه فلان فأصاب منه وأتاه فلان فأصاب منه.

قال: فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان أوصبي، فذكر قربهم من النبي ﷺ فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر فقال: «**يا عدي بن حاتم، ما أفرك أن يقال لا إله إلا الله؟ فهل من إله إلا الله؟ أفرك أن يقال الله أكبر فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل؟**

قال: فأسلمت، فرأيت وجهه استبشر، وقال: «إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى».

ثم سألوه، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: **«أما بعد فلكم أيها الناس أن ترضخوا من الفضل، ارتضخ امرؤ بصاع ببعض صاع، ببعض قبضة»** قال شعبة: وأكثر علمي أنه قال **«بتمرة، بشق تمرة، وإن أحدكم لاقي الله عز وجل فقائل: ما أقول ألم أجعلك سميعاً بصيراً ألم أجعل لك مالاً وولداً فماذا قدمت، فينظر من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فلا يجد شيئاً فما يتقي النار إلا بوجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوه فبكلمة لينة، إني لا أخشى عليكم الفاقة لينصرنكم الله تعالى وليعطينكم أوليفتحن لكم حتى تسير الظعينة بين الحيرة ويثرب أو أكثر، ما تخاف السرق على ظعينتها»** قال محمد بن جعفر ثنا شعبة مالا أحصيه وقرأته عليه.

قلت: ففي هذه القصة ما يشهد ببطلان تلكم القصة التي فيها وصف علي ـ رضي الله عنه ـ لسفانة أخت عدي، حيث جاء في هذه أن القائلة: «**نأى الوافد وانقطع الولد**» هي عمة عدي، وهي في هذه القصة «**عجوز كبيرة**» وليست كما في القصة السابقة «جارية حمراء، لعساء. . . الخ»!

* * *

(٤٨)
قصة
مكذوبة على ربيعة الرأي

وهو ابن أبي عبد الرحمن فرُّوخ الإمام مفتي المدينة في عصره، شيخ الإمام مالك بن أنس وكان من أئمة الاجتهاد.

وقد كُذب عليه وعلى والده فروخ قصة ذكرها الذهبي في تاريخ الإسلام وفي سير أعلام النبلاء وأبطلها.

فقد قال: ـ رحمه الله ـ في «تاريخ الإسلام» (حوادث ١٢١ ـ ١٤٠هـ، ص ٤١٨ ـ ٤١٩):

قال أحمد بن مروان الدينوري صاحب «المجالسة» ـ وقد تُكلم فيه ـ:

ثنا يحيى بن أبي طالب، ثنا عبدالوهاب بن عطاء؛ قال: «حدثني مشيخة أهل المدينة أن فروخاً والد ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً وربيعة حملٌ، فخلف عند الزوجة ثلاثين ألف دينار، ثم قدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة،

فنزل عن فرسه، ثم دفع الباب برمحه، فخرج ربيعة، فقال: يا عدو الله! أتهجم على منزلي! وقال فروخ: ياعدو الله! أنت رجل دخلت على حرمتي. فتواثبا واجتمع الجيران وجعل ربيعة يقول: لا والله لا فارقتك إلى السلطان. وجعل فروخ يقول كذلك، وكثر الضجيج، فلما بصروا بمالك سكت الناس كلهم، فقال مالك: أيها الشيخ! لك سعة في غير هذه الدار. فقال: هي داري وأنا فروخ مولى بني فلان. فسمعت امرأته كلامه، فخرجت وقالت: هذا زوجي، وقالت له: هذا ابنك الذي خلفته وأنا حامل. فاعتنقا جميعاً وبكيا ودخل فروخ المنزل وقال: هذا ابني؟ قالت: نعم. قال: فأخرجي المال وهذه أربعة آلاف دينار معي. قالت: إني قد دفنته وسأخرجه. وخرج ربيعة إلى المسجد، فجلس في حلقته وأتاه مالك والحسن بن زيد وابن أبي علي اللهبي والأشراف، فأحدقوا به، فقالت امرأة فروخ: اخرج إلى المسجد فصلِّ فيه. فنظر إلى حلقة

وافرة، فأتى، فوقف، ففرجوا له قليلاً ونكس ربيعة يوهم أنه لم يره، وعليه طويلة، فشك فيه أبو عبدالرحمن، فقال: من هذا؟ قالوا: هذا ربيعة. فرجع وقال لوالدته: لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها. قالت: فأيما أحب إليك: ثلاثون ألف دينار، أو هذا الذي هو فيه من الجاه؟ قال: لا والله إلا هذا. قالت: فإني قد أنفقت المال كله عليه. قال: فوالله ما ضيعتيه»[١].

قلت: قال الذهبي في إبطال هذه القصة:

«هذه حكاية معجبة لكنها مكذوبة لوجوه:

منها: أن ربيعة لم يكن له حلقة وهو ابن سبع وعشرين سنة؛ بل كان ذلك الوقت شيوخ المدينة مثل القاسم وسالم وسليمان بن يسار... وغيرهم

---

(١) أخرجها ـ أيضاً ـ الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٨/ ٤٢١ ـ ٤٢٢) بنفس الإسناد السابق.

من الفقهاء السبعة.

الثاني: أنه لما كان ابن سبع وعشرين سنة كان مالك فطيماً أو لم يولد بعد.

الثالث: أن الطويلة لم تكن خرجت للناس، وإنما أخرجها المنصور؛ فما أظن ربيعة لبسها، وإن كان قد لبسها؛ فيكون في آخر عمره، وهو ابن سبعين سنة لا شاباً.

الرابع: كان يكفيه في السبع والعشرين سنة ألف دينار أو أكثر، ثم قد قال ابن وهب: حدثني عبدالرحمن بن زيد؛ قال: مكث ربيعة دهراً طويلاً يصلي الليل والنهار ثم نزع عن ذلك إلى أن جالس العلماء؛ فجالس القاسم، فنطق بلب وعقل؛ فكان القاسم إذا سئل عن شيء، قال: سلوا هذا ـ لربيعة ـ وصار ربيعة إلى فقه وفضل وعفاف، وما كان بالمدينة رجل أسخى منه»[1]

---

(١) تاريخ الإسلام.

وقال الذهبي ـ رحمه الله ـ في سير أعلام النبلاء: «لوصح ذلك، لكان يكفيه ألف دينار في السبع والعشرين سنة، بل نصفها، فهذه مجازفة بعيدة ثم لما كان ربيعة ابن سبع وعشرين سنة، كان شاباً لا حلقة له، بل الدَّستُ لمثل سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، ومشايخ ربيعة. وكان مالك لم يُولد بعد أو هو رضيع. والطويلة: إنما أخرجها للناس المنصور بعد موت ربيعة. والحسن بن زيد إنما كبر واشتهر بعد ربيعة بدهر. وإسنادها منقطع»[١].

وقال العلامة عبدالرحمن المعلمي في تعليقه على «الأنساب» للسمعاني[٢] في إبطال هذه الحكاية:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٩٤ ـ ٩٥).
(٢) (٦/ ٦١ ـ ٦٢) ونقل تضعيفه للقصة أبو غدة في كتابه: «صفحات من صبر العلماء» (ص٣٠٧ ـ ٣٠٨)، وعنه الأستاذ عبدالله الحبيتر في تعقبه على إيراد الدكتور عبدالعزيز الثنيان لها في مقالٍ له بعنوان «مجالس =

«هذه الحكاية ساقها الخطيب في التاريخ (٨/ ٤٢١) بسنده وسكت عنها وهي كما يقال: «وردة تقول: شمني ولا تدعكني» ولكني شممت منها رائحة مريبة دعتني إلى دعكها، ففي السند: «. . .أحمد بن مروان بن محمد المالكي الدينوري القاضي قراءة عليه بمصر ـ حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا عبدالوهاب بن عطاء الخفاف، حدثني مشيخة أهل المدينة أن فروخاً. . .» أحمد بن مروان قال الدارقطني: هو عندي ممن يضع الحديث. وقال مسلمة بن قاسم: أدركته ولم أكتب عنه، وكان ثقة. ويحيى بن أبي طالب وثقه الدارقطني، وقال موسى بن هارون الحافظ: أشهد أنه يكذب. راجع لسان الميزان (ج١ رقم ٩٣١) و(ج٦ رقم٩٢١)، وعبدالوهاب بن عطاء صدوق، وقد سمع من مالك

= المربين». انظر: مجلة المعرفة الصادرة عن وزارة المعارف بالسعودية (عدد٤٤).

وغيره من أهل المدينة، ولا ندري إن كان روى هذه القصة من شيخه فيها؟

وفي القصة ما يُنكر، ومنه أنها تفيد أن عمر ربيعة عند وقوعها كان ٢٧ سنة ونقول «فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة... وكثر الضجيج فلما بصروا بمالك سكت الناس كلهم فقال مالك...» وهذا يعطي أن مالكاً كان إذ ذاك من المشيخة، وأنه كان في أوج شهرته وجلالته عند الناس، فكم ينبغي أن يكون عمر مالك إذ ذاك؟ أجب عن هذا في نفسك بما يلائم ما تقدم ثم انظر ترجمة ربيعة في الكتب تجد في تاريخ البخاري (ج٢ ق١ رقم ٩٧٦) «سمع أنساً والسائب بن يزيد» وكذا في غيره، وحديثه عن أنس في الصحيحين وهو من طريق مالك وغيره عن ربيعة «سمعت أنس بن مالك يصف النبي ﷺ...» وربيعة نشأ بالمدينة، وكان أنس بالكوفة فكأنه سمع منه في قدمةٍ قدمها أنس؛ وقد عُمِّر أنس وكبر وضعف

ومات سنة ٩٣ أو قبلها فقدمته المدينة لابد أن تكون قبل هذه السنة بمدة وكان سماع ربيعة من أنس سماعاً متقناً كما يدل عليه سياق الحديث ورواية مالك وغيره له واعتماد صاحبي الصحيحين عليه، فكم ترى يكون سن ربيعة حين سمع من أنس؟ وكم ترى يكون سنه في سنة ٩٣؟ وإنما ولد مالك سنة ٩٣، فكم ترى يكون سن مالك حين بلغ سن ربيعة ٢٧سنة؟ وهي السنة التي وقعت فيها القصة كما يزعم راويها، وهل يمكن أن يكون في ذاك السن من المشيخة وقد بلغ من الشهرة والجلالة ما تقوله القصة؟ أما السائب بن يزيد فقد قيل: إنه توفي سنة ٨٢ وقيل سنة ٩١ وقيل غير ذلك. وبالجملة فإن لم تكن القصة مختلقة برمتها فقد زيد فيها أشياء مختلقة، والله المستعان».

(٤٩)

قصة

لقاء ابن تومرت بأبي حامد الغزالي

ادعى بعض المؤرخين أن ابن تومرت[1] قد لقي

---

(١) هو محمد بن عبدالله بن تومرت البربري (ت٥٢٤هـ)، ادعى أنه المهدي، وخرج على دولة المرابطين مؤسساً دولة (الموحدين!) بالمغرب، زاعماً أن أعداءه المرابطين أهلُ تجسيم، وهم ما كانوا «يدينون إلا بتنزيه الله تعالى عما لا يجب وصفه بما يجب له، مع ترك خوضهم عما تقصر العقول عن فهمه» كما يقول اليسع بن حزم (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٠).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن تومرت: «استحل دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكية، الذين كانوا من أهل الكتاب والسنة على مذهب مالك وأهل المدينة، يقرؤن القرآن والحديث كالصحيحين والموطأ وغير ذلك، والفقه على مذهب أهل المدينة، فزعم أنهم مشبهة مجسمة، ولم يكونوا من أهل هذه المقالة، ولا يُعرف عن أحد من أصحاب مالك إظهار القول بالتشبيه والتجسيم، واستحل أيضاً أموالهم وغير ذلك من المحرمات...» ثم ذكر شيخ الإسلام أن ابن تومرت وافق المعتزلة في كثير من أصولهم إضافة إلى استفادته من الأشعرية والشيعة. الفتاوى(١١/ ٤٧٦ ـ ٤٩١). وانظر لبيان عقيدة ابن تومرت =

أبا حامد الغزالي صاحب «احياء علوم الدين»، وحكى له أن دولة المرابطين بالمغرب برئاسة «علي بن يوسف بن تاشفين» قد أحرقت كتابه «احياء علوم الدين» بدعوى أنه مخالف للسنة، لما فيه من الفلسفة والصوفيات، فرفع الغزالي يديه داعياً عليهم بأن يمزق الله ملكهم بسبب إحراقهم كتابه، فاستجيبت هذه الدعوة على يد ابن تومرت نفسه الذي أسقط دولتهم على يد أنصاره الذين سماهم «الموحدين».

قال ابن خلكان في ترجمة ابن تومرت:

«وهو من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب، ونشأ هناك ثم رحل إلى المشرق في شبيبته طالباً للعلم، فانتهى إلى العراق، واجتمع بأبي حامد الغزالي والكيا الهراسي والطُرْطوشي وغيرهم، وحج

= كتاب «قيام دولة الموحدين» تأليف مراجع عقيلة الغناتي (١٩٣ ـ ٢٠٦) فصل بعنوان «عقيدة ابن تومرت».

وأقام بمكة مُدَيدَة وحصل طرفاً صالحاً من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين»[1].

وقال المراكشي عنه:

«ومحمد هذا رجل من أهل سُوس، مولده بها بضيعة منها تُعرف بإيجلى أن وارغن، وهو من قبيلة تسمى هرغة، من قوم يعرفون بإيسرغينن؛ وهم الشرفاء بلسان المصامدة».

قال: «وكان قد رحل إلى المشرق في شهور سنة ٥٠١ في طلب العلم، وانتهى إلى بغداد، ولقي أبا بكر الشاشي فأخذ عليه شيئاً من أصول الفقه وأصول الدين، وسمع الحديث على المبارك بن عبدالجبار ونظرائه من المحدثين، وقيل إنه لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيَّام تزهده؛ فالله أعلم وحُكي أنه ذُكر للغزالي ما فَعل أمير المسلمين بكتبه التي وصلت إلى المغرب، من إحراقها وإفسادها، وابن

(١) وفيات الأعيان (٥/٤٦).

تومرت حاضر ذلك المجلس؛ فقال الغزالي حين بلغه ذلك: «ليذهبنَّ عن قليل ملكه، وليقتلن ولده، وما أحسب المتولي لذلك إلا حاضرٌ مجلسنا!».

وكان ابن تومرت يحدث نفسه بالقيام عليهم؛ فقوى طمعُه»[١].

وقال الزركشي: «وحكى ابن سعيد في البيان المغرب أن والد الإمام المهدي يقال له عبدالله... وإن الإمام ولدسنة إحدى وتسعين وأربعمائه، وقال ابن خلكان سنة أربع وثمانين وقال ابن الخطيب الأندلسي سنة ست وثمانين وقال الغرناطي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وقرأ بقرطبة على القاضي ابن حمدون.

ثم ارتحل إلى المهدية وأخذ عن الإمام المازري ثم انتقل إلى الاسكندرية وهو ابن ثماني عشرة سنة وأخذ عن الإمام أبي بكر الطرطوشي ثم انتقل إلى

---

(١) المعجب.. (ص٢٤٥ ـ ٢٤٦).

بغداد وأخذ عن الإمام الغزالي، ولما وصل كتاب الإحياء إلى المغرب أشار من أشار على الملك المتولي على لمتونه بتمزيقه، فبلغ ذلك الغزالي فقال: اللهم مزق ملكهم، فقال المهدي له: على يدي يا سيدي، فقال على يدك! فأكدت هذه الدعوة ما في علم المهدي من ذلك»[١].

أما ابن أبي زرع[٢] فيذكر أن ابن تومرت تتلمذ على أبي حامد الغزالي. وكان الأخير إذا دخل عليه ابن تومرت يتأمله كثيراً ويقول سراً لجلسائه: سيكون لهذا البربري شأن عظيم. فلابد له من دولة فإنه سيثور بالمغرب ويتسع ملكه ويرتفع شأنه. فلما بلغت هذه الأنباء ابن تومرت، أخذ يتقرب إلى الشيخ الغزالي حتى أطلعه على ذلك، فكر راجعاً إلى بلاده فوراً.

---

(١) تاريخ الدولتين: الموحدية والحفصية (ص٤).
(٢) روض القرطاس (ص١١٠ ـ ١١١).

أما محمد الكتاني فينقل رواية أخرى مفادها أنه دخل شيخ مغربي للمدرسة التي كان يلقي بها الغزالي دروسه، فركع الرجل ركعتين تحية للمدرسة! ثم جاء وسلم على الغزالي. فسأله عن نفسه وعن بلاده. ثم سأله عن كتابه إحياء علوم الدين لما دخل المغرب فأخبره المغربي بأن الكتاب قد أحرق بأمر من أمير المسلمين المرابطي بعد أن أفتاه الفقهاء بذلك، وقد غضب الغزالي لهذا النبأ ورفع يديه بالدعاء والطلبة يؤمنون:

«اللهم فرق ملكهم كما فرقوه، وأذهب دولتهم كما أحرقوه».

وتصادف أن كان ابن تومرت حاضراً في هذا المجلس. فطلب من الغزالي أن يدعو الله أن يكون ذلك على يديه. فتغافل عنه.

ثم لما كانت الجمعة الثانية بعد هذه الحادثة، دخل المدرسة شيخ شبيه بالأول مغربي الأصل،

فسأله الغزالي عن كتابه، فأخبره بنبأ إحراقه، فدعا على المرابطين بنفس دعائه الأول، فقال له ابن تومرت: أرجو أن يكون ذلك على يدي.

فقال: اخرج، سيجعل الله ذلك على يديك. قال العراقي: فقبل الله دعاءه، وخرج ابن تومرت من هناك إلى المغرب وقد علم أن دعوة الشيخ لا ترد، فكان من أمره ما كان»[(١)]

ويقول صاحب الحلل الموشية نقلاً عن ابن القطان: «رحل المهدي[(٢)] من وطنه ـ هرغة ـ قبيلة بسوس الأقصى ـ في طلب العلم سنة خمسمائة إلى الأندلس. وجاز فيها من مرسى المرية في مركب إلى الشام، فقرأ على الإمام أبي عبدالله الحضرمي، وبمصر على الإمام أبي الوليد الطرطوشي[(٣)]،

---

(١) الغزالي والمغرب (ص٧٠٨ ـ ٧٠٩).
(٢) أي ابن تومرت! الذي ادعى أنه المهدي فصدقه الجهلة!
(٣) انظر: المقتبس للبيذق (٢٨ ـ ٢٩) حيث ذكر من أخذ =

وببغداد على الإمام أبي حامد الغزالي، وقد كان كتابه الذي سماه إحياء علوم الدين وصل إلى المغرب والأندلس، وأن فقهاء قرطبة تكلموا فيه، وأنكروا فيه أشياء.

قال ابن القطان: ولا سيما ابن حمدين، فإنه بالغ في ذلك حتى كفر جميع من قرأه، وعمل به، وأغرى به السلطان، واستشهد بالفقهاء، فأجمعوا على حرقه، فأخذ علي بن يوسف بفتياهم، وأمر بحرقه، فأحرق بقرطبة، وكتب إلى سائر بلاده يأمر بإحراقه، وتوالى الاحراق على ما ظهر منه ببلاد المغرب في ذلك الوقت، فيذكر أن حرقه كان سبباً لزوال ملكهم وانتثار سلكهم.

حكى ابن صاحب الصلاة عن عبدالله بن عبدالرحمن العراقي، شيخ مسن من سكان فاس، قال: كنت ببغداد بمدرسة الشيخ الإمام أبي حامد

= عنهم ابن تومرت.

الغزالي، فجاءه رجل كث اللحية على رأسه كرزية صوف، فدخل المدرسة، وأقبل على الشيخ أبي حامد، فسلم عليه، فقال: ممن الرجل؟ فقال: من أهل المغرب الأقصى، قال: أدخلت قرطبة؟ قال: نعم، قال: كيف فقهاؤها؟ قال: بخير، قال: هل بلغهم كتاب الإحياء؟ قال: نعم، قال: فماذا قالوا فيه؟ فصمت الرجل حياء، فعزم عليه ليقولن، فأطرق رأسه، وأخبره بإحراقه، وبالقصة كما جرت، قال: فتغير وجهه، ومد يده للدعاء، والطلبة يؤمنون عليه، فقال: اللهم مزق ملكهم كما مزقوه، وأذهب دولتهم كما أحرقوه، فقال له أبو عبد الله بن تومرت السوسي ـ الملقب بالمهدي ـ: أيها الإمام ادع الله أن يجعل ذلك على يدي ـ فتغافل عنه، فلما كان بعد أيام أتى الحلقة شيخ آخر على شكل الأول، فسأله الشيخ أبو حامد، فأخبره بصحة الخبر المتقدم، فدعا بمثل دعائه الأول، فقال له المهدي: على يدي إن شاء الله! فقال: اللهم اجعله على يديه،

فقبل الله دعاءه!

وخرج أبو عبدالله بن تومرت من بغداد، وصار إلى المغرب، وقد علم أن دعوة الشيخ لا ترد، فكان من أمره ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى»[١].

ويعد السبكي في طبقات الشافعية دعوة الغزالي على دولة المرابطين من كراماته التي تحققت!

فيقول: «ومما يعد من كرامات الغزالي أيضاً، أن السلطان علي بن يوسف بن تاشفين، صاحب المغرب، الملقب بأمير المسلمين، وكان أميراً عادلاً، نزها، فاضلا، عارفاً بمذهب مالك، خيل إليه لما دخلت مصنفات الغزالي إلى المغرب أنها مشتملة على الفلسفة المحضة.

وكان المذكور يكره هذه العلوم، فأمر بإحراق كتب الغزالي، وتوعد بالقتل من وجد عنده شيء

(١) الحلل الموشية (ص١٠٣ ـ ١٠٥).

منها، فاختلَّت حاله وظهرت في بلاده مناكير كثيرة، وقويت عليه الجند، وعلم من نفسه العجز، بحيث كان يدعو الله بأن يقيِّض للمسلمين سلطاناً يقوى على أمرهم، وقوى عليه عبدالمؤمن بن علي.

ولم يزل من حين فعل بكتب الغزالي ما فعل في عكس ونكد إلى أن توفي»[1].

قلت: قصة لقاء ابن تومرت للغزالي وما جاء فيها: مكذوبة، ومفتعلة لاضفاء روح الأسطورة على كيفية قيام دولة الموحدين بقيادة الضال ابن تومرت، وسقوط دولة المرابطين المجاهدة في سبيل نشر الإسلام والدفاع عنه، كما هو معلوم من تاريخها.

ومما يشهد لهذا أن المروجين لها، والمتفننين في طريقة عرضها هم من المؤرخين الذين جاؤوا بعد سقوط دولة المرابطين، ممن يكنون لها العداء الدفين، من أمثال المراكشي وابن القطان.

---

(١) طبقات الشافعية (٦/ ٢١٩).

يقول الأستاذ محمد اليعقوبي البدراوي: «أغلب الكتب التي أُلفت بعد سقوط المرابطين كانت تعمل لصالح الموحدين، فأصبح كثير من الباحثين يعتمدون عليها كمصادر»[١].

ومما يدل على تهافتها وبطلانها اضطراب أحداثها ـ كما سبق ـ

قال صاحب كتاب «قيام دولة الموحدين»:

(على الرغم من أن كثيراً من الروايات التاريخية، تزعم مقابلة ابن تومرت للغزالي. فإن كثيراً من الباحثين المُحْدثين، ينفون وقوع هذه المقابلة. فيقول الإخوان جان وجيروم طارو:

«ففي أي تاريخ أمكن لابن تومرت أن يقابل الغزالي لأن هذا الأخير رحل رحلته المشهورة من

---

(١) مقال «احراق كتاب الإحياء في المغرب الإسلامي» مجلة المناهل (عدد٩).

سنة ٤٨٨ إلى ٤٩٩ وابن تومرت لم يسافر على أرجح وجه إلا سنة ٥٠١ فكيف أمكنه أن يقابل الغزالي في بغداد وهو خرج منها سنة ٤٨٨، أو في دمشق وهو خرج منها سنة ٤٩٠ أو في بيت المقدس والغالب أنه تركها سنة ٤٩٢ لاستيلاء الصليبيين عليها، فهذا الغموض هو الذي حمل بعض المؤرخين من العرب وكثير من المستشرقين على نفي مقابلة ابن تومرت للغزالي»[١].

أما المستشرق جولدسيهر فيقول:

«ويبدو من ذلك كله أنه يحق لنا أن نلغي من ترجمة ابن تومرت قصة الغزالي. فهي غير مقبولة إطلاقاً، سواء من حيث ترتيب الحوادث الزمنية، أو من حيث منطق الحوادث نفسها، وكل ما هناك أننا نرى فيها تحقيقاً لحاجة الناس بأن يجدوا سبباً موجباً غير الصفات الشخصية لارتفاع رجل وصل في لمعة

---

(١) أزهار البساتين (ص٨١ ـ ٨٤).

نور خارقة إلى السلطان وإلى سحق الدولة القائمة»[١])[٢]

وقال الأستاذ محمد عبد الله عنان في ابطال هذه القصة: (غادر ابن تومرت وطنه بالسوس في طلب العلم، وعبر البحر إلى الأندلس، ودرس في قرطبة حيناً، ثم جاز من ثغر ألمرية إلى المشرق، ومر في طريقه على المهدية، وأخذ بها على الإمام المازري، ثم قصد إلى الإسكندرية ودرس بها على الإمام أبي بكر الطرطوشي، وقضى بعد ذلك فريضة الحج، ثم سافر إلى بغداد، وهنالك درس الفقه والأصول على أبي بكر الشاشي الملقب بفخر الإسلام، ودرس الحديث على المبارك بن عبد الجبار وغيره[٣].

---

(١) عصر المرابطين والموحدين، لمحمد عنان (١/ ١٦٣).
(٢) قيام دولة الموحدين، لمراجع عقيلة الغناي (ص٢١١).
(٣) ابن خلدون ج٦ ص٢٢٦، والحلل الموشية ص٧٥، والزركشي ص١، والمعجب ص٩٩.

وفي بعض الروايات أن ابن تومرت لقي الإمام أبا حامد الغزالي ودرس عليه في بغداد.

وقيل: بل لقيه بالشام أيام تزهده[١].

ونحن نقف قليلاً عند هذه الرواية التي يرددها كثير من مؤرخي المشرق والمغرب، إذ متى وأين كان هذا اللقاء، وفي أي الظروف؟

لقد خرج ابن تومرت من وطنه في طلب العلم في سنة ٥٠٠ أو ٥٠١هـ، وقضى فترة في الأندلس، وفي المهدية وفي الإسكندرية، ثم سافر لقضاء فريضة الحج، وقصد على أثر ذلك إلى بغداد، وإذن فيكون من المرجح أنه لم يصل إليها قبل سنة ٥٠٤ أو٥٠٥هـ. وقد كان الإمام الغزالي ببغداد يضطلع بالتدريس في مدرسة النظامية بين سنتي ٤٨٤

---

(١) الحلل الموشية عن ابن القطان ص٧٥، والمعجب ص٩٩، روض القرطاس ص١١٠، وابن خلكان ج٢ ص٤٨ والزركشي ص١.

و٤٨٨هـ (١٠٩١ ـ ١٠٩٥م)، وفي سنة ٤٨٨هـ، غادر العاصمة العباسية، في رحلته التأملية الشهيرة التي استطالت حتى سنة ٤٩٩هـ والتي زار فيها دمشق وبيت المقدس والإسكندرية ومكة والمدينة. وإذن فيكون من المستحيل مادياً، أن يكون ابن تومرت الذي غادر وطنه لأول مرة في سنة ٥٠٠هـ، قد استطاع أن يلتقي بالغزالي في بغداد أو غيرها من المدن التي زارها في خلال رحلته، ثم إنه ليس من المحتمل أن يكون هذا اللقاء قد وقع عند عود الغزالي إلى بغداد. ذلك أنه لم يمكث بها سوى فترة يسيرة، ثم رحل منها إلى نيسابور حيث قام بالتدريس فيها، استجابة لدعوة السلطان ملك شاه، ثم غادرها بعد قليل إلى مسقط رأسه طوس، وانقطع بها للعبادة والتأليف حتى توفي في جمادى الثانية سنة ٥٠٥هـ (ديسمبر ١١١١م).

ويتضح من ذلك جلياً بطلان قصة اللقاء بين ابن تومرت والإمام الغزالي من الناحية التاريخية.

وفضلاً عن ذلك فإنه يوجد دليل مادي آخر على بطلان هذه القصة أو الأسطورة. ذلك أنها تقرن بواقعة أخرى خلاصتها أن ابن تومرت حينما لقي الإمام الغزالي، وأخبره بما وقع من إحراق المرابطين لكتابه «إحياء علوم الدين» بالمغرب والأندلس، تغير وجهه، ورفع يده بالدعاء، والطلبة يؤمنون، فقال: «اللهم مزق ملكهم كما مزقوه، وأذهب دولتهم كما أحرقوه» وأن ابن تومرت، رجا الإمام عندئذ أن يدعو الله أن يكون ذلك على يده، فاستجاب الإمام ودعا الله بذلك[1].

وينقض هذه الواقعة من أساسها أن قرار المرابطين بحرق كتاب «الإحياء» قد صدر لأول مرة في سنة ٥٠٣هـ، في أوائل عهد علي بن يوسف، وذلك أيضاً حسبما يخبرنا ابن القطان، أعني بعد أن غادر الغزالي بغداد إلى نيسابور لآخر مرة، وقبيل

---

(١) الحلل الموشية ص٧٦، ٧٧.

وفاته بنحو عام. فأين إذن، ومتى كان لقاء ابن تومرت به، وكيف نستطيع إزاء هذه المفارقات الزمنية أن نصدق تلك القصة التي نسجت حول إحراق كتاب الإحياء؟

هي أسطورة إذن، نسجت كما نسجت نسبة ابن تومرت إلى آل البيت، لتغدو هالة تحيط بشخصه وسيرته، وتذكي عناصر الخفاء والقدسية حول شخصه وإمامته. وقد اختير الإمام الغزالي لبطولتها بالذات، لتبوئه يومئذ أسمى مكانة من العلم والدين والورع في العالم الإسلامي، ولشهرته الذائعة في المغرب، وصلاته المعروفة بعاهل المرابطين يوسف بن تاشفين، وتأثيره الشرعي لديه، وتأييده لدولته.

ويبدو لون الأسطورة في هذه القصة التاريخية بنوع خاص، فيما تزعمه الرواية من أن الإمام الغزالي، حين رؤيته لابن تومرت، شهد من صفاته وشمائله، وتبين فيه من العلامات والآثار ما يدل على أمره ومستقبله، وأنه كان يقول لجلسائه «لا بد

لهذا البربري من دولة، أما إنه يثور بالمغرب الأقصى، ويظهر أمره، ويعلو سلطانه، ويتسع ملكه، فإن ذلك ظاهر عليه في صفاته، وبائن عنه في شمائله». ثم تزيد الرواية على ذلك، أن بعض الصحب نقل ذلك إلى ابن تومرت، وأخبره أن ذلك عند الشيخ في كتاب، فلم يزل ابن تومرت يجتهد في خدمة الشيخ ويتقرب إليه، حتى اطلع على الأخبار التي كانت فيه، فلما تحقق من ذلك، اعتزم الرحيل إلى المغرب ليتابع قدره، ويبحث عن مصيره[1].

ولم يقف أمر هذه الأسطورة التي تجمع بين الغزالي وابن تومرت عند هذا الحد، بل لقد كان من آثارها أنه يوجد كتاب منسوب للغزالي عنوانه «سر العالمين، وكشف ما في الدارين» أو بعنوان أقصر «السر المكنون»، وقد جاء في أوله ما يأتي: «أول

(١) روض القرطاس ص١١٠، ١١١.

من استنسخه، وقرأه علي بالمدرسة النظامية سراً من الناس في النوبة الثانية بعد رجوعي من السفر، رجل من أرض المغرب يقال له محمد بن تومرت من أهل سلمية، وتوسمت فيه الملك»[١].

وليس أشد إمعاناً من ذلك كله في عالم الأسطورة.

ومن ثمَّ فإنا نجد كثيراً من المؤرخين والمفكرين يرفضون هذه الأسطورة والأخذ بها.

فابن الأثير ينفيها بصراحة ويقول لنا «والصحيح أن ابن تومرت لم يجتمع به (أي الغزالي)»[٢].

ويبدي ابن خلدون ريبه فيها، ويحملها على محمل الزعم[٣].

---

(١) توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب بدار الكتب المصرية رقم ١٨٠ مجاميع.
(٢) ابن الأثير ج١٠ ص١٠١.
(٣) ابن خلدون ج٦ ص٢٢٦.

وكذلك فإن البحث الحديث ينكرها وينفيها. ومن أصحاب هذا الرأي المستشرق الألماني ميللر[١] والمستشرق إجناس جولدسيهر. ويستعرض جولدسيهر بنوع خاص ما في هذه القصة من مفارقات ومتناقضات تاريخية. ثم يقول: «ويبدو من ذلك كله أنه يحق لنا أن نلغي من ترجمة ابن تومرت، قصة الغزالي، فهي غير مقبولة إطلاقاً، سواء من حيث ترتيب الحوادث الزمنية، أو من حيث منطق الحوادث نفسها. وكل ما هنالك أننا نرى فيها تحقيقاً لحاجة الناس بأن يجدوا سبباً موجهاً غير الصفات الشخصية، لارتفاع رجل، وصل في لمعة نور خارقة إلى السلطان، وإلى سحق الدولة القائمة[٢].

---

(١) (A. muller:Der Islam in Morgen und abendland) (Berilin 1885,) B.II. P.611

(٢) مقدمة جولدسيهر لكتاب محمد بن تومرت (أعز ما يطلب).

على أن ذلك كله لا يعني أن ابن تومرت لم يتأثر في تعاليمه الدينية بآراء الغزالي ونظرياته، ومن المسلم به أن ابن تومرت، قد تأثر خلال دراسته بالمشرق بالنظريات المشرقية في علوم الكلام والأصول والسنة. ويقول لنا ابن خلدون، إنه تأثر بتعاليم الأشعرية، وأخذ عنهم، واستحسن طريقتهم في الانتصار للعقائد والدفاع عنها، وفي تأويل المتشابه من القرآن والحديث[١])[٢].

* * *

(١) ابن خلدون ج٦ ص٢٢٦.

(٢) تراجم إسلامية، شرقية وأندلسية (ص٢٣٩ ـ ٢٤٢). وقد سبق أن ابن تومرت خلط بين الاعتزال والأشعرية، وسمى ذلك كله ـ كذباً وزوراً ـ بالتوحيد، كما فعل أسلافه المعتزلة.

(٥٠)
قصة
عمرو بن معدي كرب مع الجني

هذه القصة ذكرها الدينوري في كتابه «المجالسة»[١] قال: حدثنا إبراهيم بن سهلويه، عمر بن عبد الكريم، عن عبدالله بن أحمد بن يزيد، عن عبدالله بن عبدالوهاب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: «بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسجد الرسول ﷺ في جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم يتذاكرون فضائل القرآن؛ إذ قال قائل منهم: خاتمة براءة، وقال قائل منهم: خاتمة بني إسرائيل، وقال قائل: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[٢]، و: ﴿طه﴾[٣].

وأكثروا، وفي القوم عمرو بن معدي كرب الزبيدي في ناحية، إذ قال: يا أمير المؤمنين! فأين أنتم عن عجيبة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فوالله؛ إن في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لعجيبة من العجب. فاستوى عمر رضي الله عنه وكان متكئاً، فجلس وكان يعجبه حديث عمرو، فقال له: يا أبا

---

(١) (٨/١٠٦ - ١١١).
(٢) سورة مريم، الآية: ١.
(٣) سورة طه، الآية: ١.

ثور! حدثنا بعجيبة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. فقال: يا أمير المؤمنين! إنه أصابنا في الجاهلية مجاعة شديدة فأقحمت بفرسي البرية أطلب شيئاً، فوالله؛ ما أصبتُ إلا بيض النعام، وإن فرسي لتقمقم من غثاء البرية، فبينما أنا كذلك؛ إذ رفعت لي خيل وماشية وخيمة، فأتيت الخيمة، فإذا أنا بجارية كأحسن البشر، وإذا بفناء الخيمة شيخ متكىءٌ، فقلت لما دخلني من هول الجارية ومن ألم الجوع: استأسر، ثكلتك أمك. فقال: يا هذا! إن أردت القرى؛ فانزل، وإن أردت معونة؛ أعناك. فقلت: استأسر، ثكلتك أمك. فقال لي مثل قوله الأول، قال: ونهض نهوض شيخ لا يقدر على القيام، فدنا منيٍّ وهو يقول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثم جذبني إليه، فإذا أنا تحته وهو فوقي. فقال لي: أقتلك أم أخلي عنك؟ فقلتُ: بل خل عني. فنهض عني وهو يقول:

عرضنا عليك النزل منا تفضلا
فلم ترعوي جهلاً كفعل الأشائم

وجئت بعدوان وظلم ودون ما
تمنيته في البيض جز الغلاصم

فقلت في نفسي: يا عمرو! أنت فارس العرب؟! للموت أهون من الهرب من هذا الشيخ الضعيف، فدعتني نفسي إلى معاودته ثانية.

وأنشأت أقول:

رويـدك لا تعجـل بليـت بصـارم
سليل المعالي هزبريٌّ قماقم
أإن ذل عمـــرو ذلـــة أعجميـــة
ولم يك يوماً للفرار بحاجم
طمعت لما منتك نفسك تسلمن
سقتك المنايا كأسها بالصرائم
فمالك فابذل دون نفسك تسلمن
هنالك أو تصبر لجزِّ الغلاصم
فما دون ما تهواه للنفس مطمع
سوى أن أحز الرأس منك بصارم

ثم قلت: استأسر، ثكلتك أمك. فدنا مني وهو

يقول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثم جذبني جذبة مثلتُ تحته، فاستوى على صدري، فقال: أقتلك أم أخلي عنك؟ فقلت: بل خل عني. فنهض وهو يقول:

بسم الله والرحمن فزنا
قديماً والرحيم به قهرنا
وهل تغني جلادة ذي حفاظ
إذا يوما بمعترك نزلنا
وهل شيء يقوم لذكر ربي
وقدماً بالمسيح هناك عدنا
سأقسم كل ذي جن وإنس
إذا يوماً لمعضلة حللنا

فعاودتني نفسي، فقلت: استأسر، ثكلتك أمك. فدنا مني أيضاً وهو يقول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فملئت منه رعباً يا أمير المؤمنين! وكنا لانعرف مع اللات والعزى شيئاً، ثم جبذني جبذة فصرت تحته، فقلتُ: خل عني، فقال: هيهات بعد ثلاث مرار، ما أنا بفاعل. ثم

قال: يا جارية! ائتني بشفرة، فأتت بها، فجزَّ ناصيتي ثم نهض وهو يقول:

مننا على عمرو فعاد لحينه
وثنى فثنينا فساء بما فعل
وفي اسم ذي الآلآء عزٌ ومنعةٌ
ومحترز لو كان سامعه عقل

وكنا يا أمير المؤمنين إذا جُزَّ نواصينا؛ استحينا أن نرجع إلى أهالينا حتى تنبت، فرضيت أن أخدمه حولاً، فلما حال عليَّ الحول؛ قال لي: لواثقٌ بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. فانطلقتُ معه حتى إذا أتى وادياً فهتف بأهله بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فلم يبق طائرٌ في وكره إلا طار، ثم هتف الثانية؛ فلم يبق سبع في مربضه إلا نهض. ثم هتف الثالثة؛ فإذا هو بأسود كالنخلة السحوق، فإذا هو لابس شعراً، فرعبت، فقال الشيخ: لا ترع يا عمرو إذا نحن اصطرعنا، فقل: غلبة صاحبي بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

قال: فاصطرعا، فقلتُ: غلبه صاحبي باللات والعزى، فلطمني لطمة كاد يقلع رأسي، فقلتُ له: لستُ بعائد. فاصطرعا، فقلت: غلبه صاحبي بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. قال: فعلاه الشيخ، فبعجه كما يبعج الفرس، وشق بطنه واستخرج منه كهيئة القنديل الأسود، فقال لي: يا عمرو! لَهَذا غشه وكفره.

قلت له: فداك أبي وأمي، ما لك ولهؤلاء القوم؟ فقال: يا عمرو! إن الجارية التي رأيت في الخباء هي الفارعة ابنة المستورد، وكان رجلاً من الجن، وكان مؤاخياً لي، وكان على دين المسيح عليه السلام، وهؤلاء قومها يغزونني كل سنة منهم رجلٌ؛ فينصرني الله عليه بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

فانطلقنا حتى أمعنا في البرية، قال: يا عمرو! قد رأيت ما كان مني وأنا جائع، فالتمس لي شيئاً آكله، فالتمست؛ فما وجدت إلا بيض النعام، فأتيته به وهو نائم قد توسد إحدى يديه وتحته سيفه وهو سيف طوله سبعة أشبار

وعـرضـه أقـل مـن شبـريـن وهـو الصمصـامـة، فاستخرجت سيفه من تحته فضربته ضربة قطعته من الساقين، فقال لي: يا غدار! ما أغدرك! فلم أزل أضربه حتى قطعته إرباً إرباً.

فغضب عمر رحمه الله عليه وقال: وأنا أقول كما قال العبد الصالح: يا غدار! ظفر بك رجل من المسلمين فأنعم عليك ثلاث مرار، ووجدته نائماً فقتلته، والله؛ لو كنتُ مؤاخذك في الإسلام بما فعلتَ في الجاهلية لقتلتك أنا به. ثم أنشأ عمر يقول:

إذا قتلت أخاً في السلم تظلمه
أنّى لما جئته في سالف الحقب
الحـر يـأنـف ممـا أنـت تفعلـه
تبا لما جئته في العجم والعرب
لو كنتُ آخذ في الإسلام ما فعلتْ
أهل الجهالة والإشراك والصلب
لنـالـك اليوم منـي مـن مطـالبـة
يدعى لذائقها بالويل والحرب

ثم قال: ما كان من حديثه يا عمرو؟!

قال: فأتيت الخيمة، فاستقبلتني الجارية، فقالت: يا عمرو! يا عمرو! ما فعل الشيخ؟

قلت: قتله الجنّي. قالت: كذبت، بل قتلته أنت يا غدار. ثم دخلت الخيمة، فجعلتْ تبكيه وهي تقول:

عينُ جودي لفارس مغوار
وانـدبيه بـواكفات غـزار
سبع وهو ذو وفاء وعهد
ورئيس الفخار يوم الفخار
لهف نفسي على بقائك يا عمـ
رو وأسلمته الحماة للأقدار
بعد ما جزَّ ما به كنت تسمو
في زبيد ومعشر الكفار
ولعمري لو رمته أنت حقاً
رمت منه كصارم بنار
فجزاك المليك سوء وهونا
عشت منه بذلة وصغار

فدخلتُ الخيمة أريد قتلها، فلم أر أحداً كأن الأرض ابتلعتها، فاقتلعتُ الخيمة وسقت الماشية حتى انتهيت بها قومي من بني زبيد».

قلت: هذه القصة ضعيفة بالمرة، أخرجها ابن عساكر في «تاريخ دمشق»[١] وابن عربي في «محاضرة الأبرار»[٢] وقال الحافظ ابن حجر عن إسنادها بأنه «واهٍ»[٣].

وأخرجها من طريق آخر الخرائطي في «هواتف الجنَّان»[٤] ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»[٥] وفي سندها مجالد بن سعيد وهو ضعيف، ورجل مجهول. وقال الحافظ عن هذا الإسناد ـ أيضاً ـ بأنه «واهٍ»[٦].

وحكم الأستاذ مشهور حسن سلمان بوهاء أسانيد

---

(١) (١٣/ق٦٣٣ ـ ٦٣٤).
(٢) (١/ ٢٧٧ ـ ٢٨١).
(٣) الإصابة (٧/ ١٤٧).
(٤) (ص١٧٤ ـ ١٧٨).
(٥) (١٣/ق٦٣٥ ـ ٦٣٦).
(٦) الإصابة (٧/ ١٤٧).

هـذه القصـة عنـد تعليقـه عليهـا فـي «المجـالسـة» للدينوري[١]، ومنه استفدت ما سبق، وفقه الله.

* * *

(١) (٨/١٠٦).

الفهرست